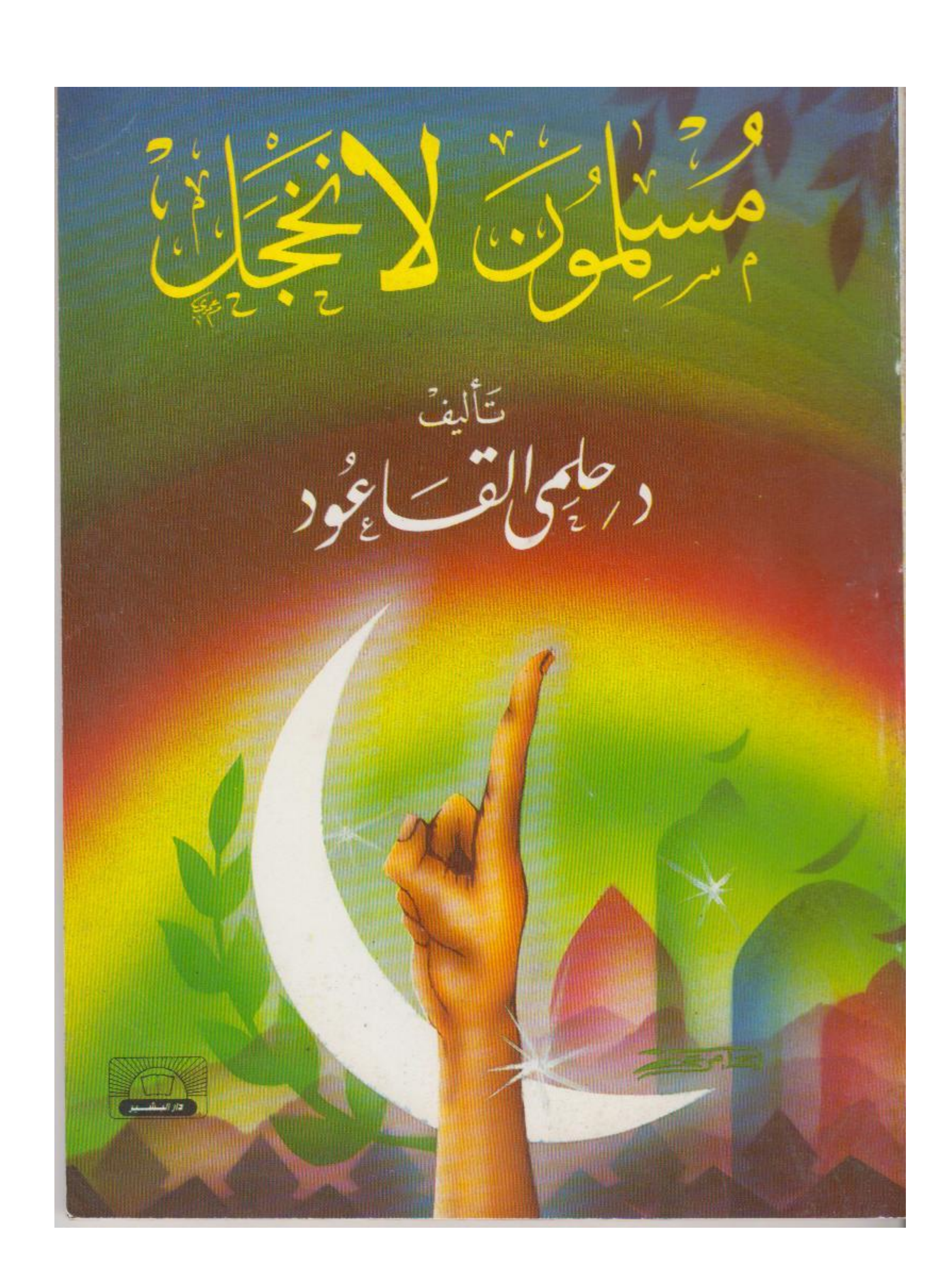

مسلمون لا نخجل
تأليف
د. حلمي القاعود
دار البشير

الطبعة الأولى

1418 هـ - 1998 م

• الكتـــــاب : مسلمون لا نخجل .

• الـــكـــاتـــب : د . حلمى محمد القاعود .

• الناشر والتوزيع: دار البشير للثقافة - طنطا أمام كلية التربية النوعية

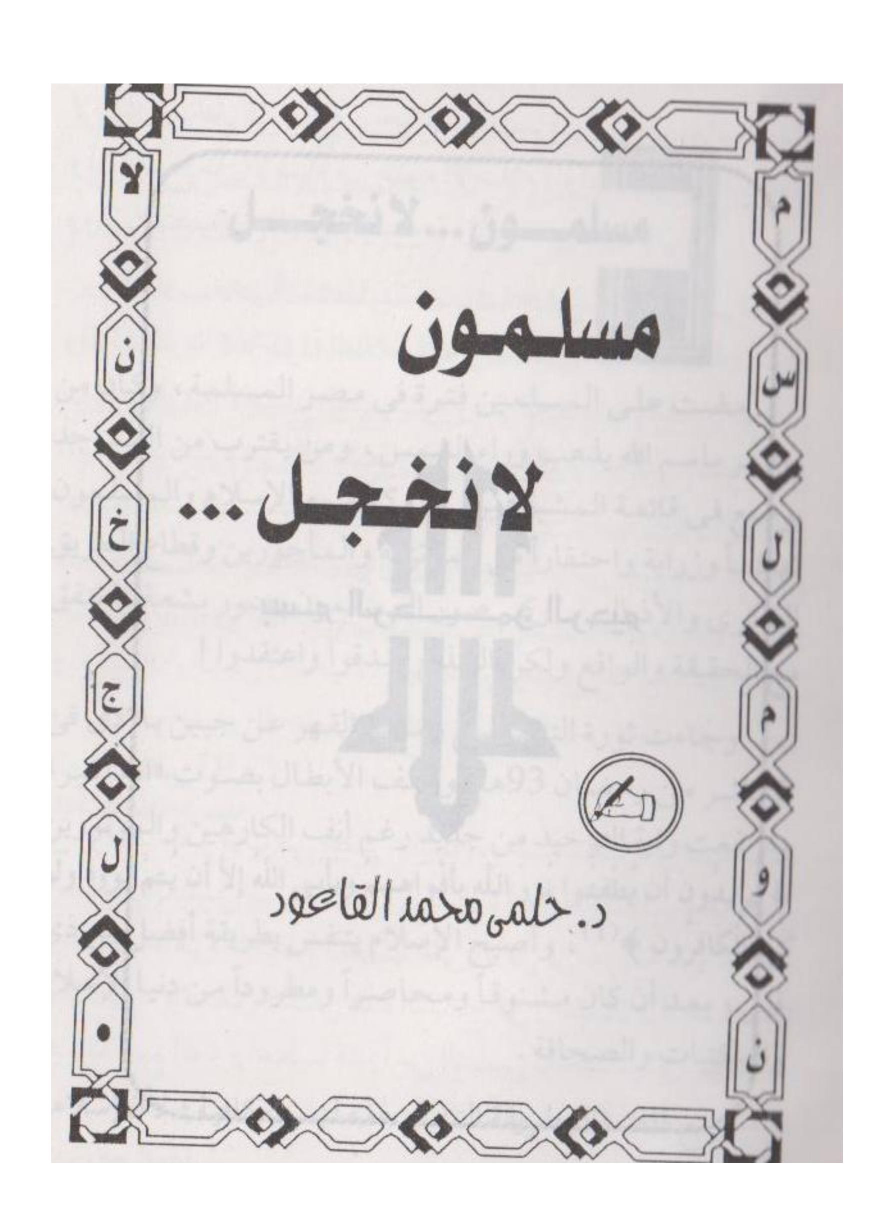
تليفاكس 302404 ، 308909 ☎ 210907 - 228277

• التجهيز الفنى : الندى للتجهيزات الفنية .المحلة الكبرى .منشيه البكرى

ص . ب265 تليفاكس : 228277

• الإيداع القانونى : 97/15190.

• الترقيم الدولى : 977.278.049.6.



مسلمون لا نخجل...

د. حلمي محمد القاعود


بسم الرحمن الرحيم

مسلمــون... لا نخجــل

مضت على المسلمين فترة فى مصر المسلمة، وكان من يجاهر باسم الله يذهب وراء الشمس، ومن يقترب من المساجد يوضع فى قائمة المشبوهين .. وكم شبع الإسلام والمسلمون تهكماً وزراية واحتقاراً من المرتزقة والمأجورين وقطاع الطريق الفكرى والأذيال .. وكم صور المسلمون بصور بشعة لا تتفق مع الحقيقة والواقع ولكن السذج صدقوا واعتقدوا !

وجاءت ثورة التصحيح وسقط القهر عن جبين بلادى فى العاشر من رمضان 93هـ، وهتف الأبطال بصوت «الله أكبر» وارتفعت راية التوحيد من جديد رغم أنف الكارهين والموتورين **﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾**(1)، وأصبح الإسلام يتنفس بطريقة أفضل من ذى قبل، بعد أن كان مشنوقاً ومحاصراً ومطروداً من دنيا الإعلام والمكتبات والصحافة.

ومع ذلك فإن طريقة التنفس هذه ليست كافية؛ لأن إسلامنا

---

(1) سورة التوبة، الآية: 32.

لابد أن يدخل كل مناحى حياتنا، ويتسرب إلى جميع مسامنا، وأن تصبح كل الأشياء فى ضوء الإسلام، وأن تتحرك على هديه ووفق مقتضياته: الدين والسياسة والثقافة والاقتصاد..

لقد سادت الانشطارية حياتنا حتى أوردتنا الهزيمة، والانشطارية كما يقول العلامة «أنور الجندى»: لا ريب أن أخطر مصادر أزمة الإنسان الحديث وأزمة الحضارة والفكر الغربى المعاصر اليوم هى «الانشطارية» وهى فكرة أدخلت أساساً إلى تفسيرات الدين الغربى ومنها سيطرت على الفكر الغربى المسيحى ثم نمتها اليهودية والتلمودية حتى أصبحت ظاهرة عميقة تفصل تماماً بين الروح والمادة والعقل والقلب والله والإنسان والدين والحياة. ويتحتم معها إعلان شأن العقل والمادة وتقديس الجنس وعبادة الفرد (رابطة العالم الإسلامى العدد الثانى 93 هـ).

فللأسف فإننا فى مصر عانينا من عبادة الفرد وإعلاء شأن المادة والفصل بين المادة والحياة والله والإنسان. والنتائج واضحة ظاهرة للعيان، تمثلت على الأقل فى هزيمة مروعة عام 1967م، وتحقق عكس هذه النتائج فى رمضان 93 هـ يوم أن عبرنا بسم الله، وأعطينا قدراً من التنفس للحقائق الإسلامية، رغم التفسير الموتور لهذه الحقائق بأنها خرافات وغيبيات لا تتفق مع العقل!

وما أحرانا فى هذه الآونة أن نحارب الانشطارية ونعيد للإسلام وضعه الطبيعى فى حياة المجتمع المصرى والعربى عموماً؛ لأنه لا خلاص بدون الإسلام ولا حرية بدون الإسلام ولا حل لمشاكلنا المستعصية بدون أن نبحث فى عمق هذا الدين ومبادئه السمحة وحتى لا نظل نعانى ونتمزق وننتظر!

إن المسلم لا يخجل من ذاته، ويرتضى بكل الحقائق التى يقدمها الإسلام، ونحن كمسلمين لا نخجل من الإسلام، ونطالب باعتماده دستوراً ونبراساً وحكماً حتى يحكم الله بالحق بيننا وبين المعتدين ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] صدق الله العظيم.

حلمى محمد القاعود

(1) سورة النساء الآية: 65.

إسلامنا هويتنا ...
إسلامنا شخصيتنا ...

أى طفل فى أوروبا المعاصرة يعتز بمسيحيته الكاثوليكية . . وأى طفل فى أوروبا المعاصرة يتعلم منذ أن يعى أنه مسيحى، وأن انتماءه للمسيح، ولأجداده الصليبيين من أمثال بطرس الحافى، وأوريانوس الثانى، وريتشارد قلب الأسد، ونابليون، ولورنس، واللنبى، ومونتجمرى.

أى طفل فى أوروبا المعاصرة يعرف أن وجوده وبقاءه وكيانه وماضيه وحاضره ومستقبله مرهون بالبقاء فى إطار المسيحية والكنيسة والعهد الجديد، ومحاربة الإسلام والمسلمين!

والصورة على الجانب الآخر فى جنوب البحر المتوسط عكس ذلك إلى حد كبير . . على المستوى الحكومى على الأقل.

فالأغلبية من المسئولين هنا يخجلون من انتسابهم إلى الإسلام كسلوك، ونمط حياة، وأسلوب تعامل مع الآخرين، ويرون أن حركتهم من داخل الإسلام مجافية لروح العصر، ولا تتناسب مع ما يفرضه الغير من أنماط ونماذج للسلوك والتعامل.

ومنذ استطاع الاستعمار الانجليزى بواسطة «كرومر» و«دنلوب» و«زويمر» وأتباعهم من المصريين، أن يؤثروا فى واقع الحياة المصرية بمناهج مختلفة مثل: الفصل بين الدين والحياة، وإعلان شأن الفكر الشعوبى، وقطع الصلة بين العروبة والإسلام، وإشعار المصريين والعرب والمسلمين بمركب نقص تجاه الأوروبيين.. فإن عدداً كبيراً من المسئولين الذين تولوا عملية البناء الحضارى لمصر والبلاد العربية والإسلامية، لم يوفقوا فى مهمتهم، وذلك لشعورهم العميق بالخجل من كل ما هو مسلم، وكل ما ينتمى إلى الإسلام!

ونحن لا نطلق القول على عواهنه، ولا نشعل ناراً ليحترق الآخرون ظلماً وعدواناً.. فالواقع يحدق بعينين مجهدتين، وأقل عملية استقراء لملامحه تثبت أن حياة مصر المسلمة المعاصرة، ومثلها بقية البلاد الإسلامية تقريباً تعيش الحقائق الآتية:

1. إحباط عام، وشعور بالعجز وعدم القدرة على مجابهة العصر الذى نعيش فيه بالوسائل الفعالة والمؤثرة والمتفوقة.

2. غرق فى محيط من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية... ويبدو هذا المحيط وكأن نهايته بعيدة بُعد المستحيل.. فلا حدود ولا قرار.. ولا بارقة تومض فى الظلمات!

3ـ تفرق وتشرذم وتشتت، وتناحر واختلاف وتطاحن، يؤكد للآخرين أن هؤلاء القوم سيظلون كذلك . . وإلى الأبد . . وأن الأمل بعيد كل البعد فى أن يتحولوا إلى أمة ذات كيان وذات وجود، بالمعنى الإيجابى، لا المعنى السلبى . . وأقصد بالمعنى الإيجابى . . الأمة المتوحدة الواحدة التى تعرف الفرق بين ما هو استراتيجى وما هو تاكتيكى، وما يجب الالتفاف حوله، وما يجوز الخلاف والاجتهاد فيه .

4ـ ضياع للهوية الحضارية والشخصية الإنسانية التى يجب أن تنتمى إليها . . بمعنى أن محاولات جمة قد بذلت لسحب الشعب إلى الدخول تحت أقنعة عديدة ومستوردة، واستبدال عقيدته الإسلامية بعقائد وضعية، توهم المؤمنين بها أنها ستغنى من جوع، وتؤمن من خوف، وستحل المعضلات الحضارية التى يعيشها الناس، ومن الواضح حتى الآن أن هذه المحاولات تلقى الفشل الذريع، والإخفاق المخجل فى كل الظروف .

5ـ الوقوع تحت سيطرة استعمارية متعددة الألوان والأشكال، فهناك الاستعمار اليهودى الذى يفرض شروطه بكل وقاحة، ويهدد العالم الإسلامى كله ومصالحه الحيوية فضلاً عن العقيدة الإسلامية ذاتها، والأماكن المقدسة فى فلسطين ومكة والمدينة وخيبر . . وهناك الاستعمار الأمريكى الذى

كف مؤقتاً عن استخدام عضلاته واكتفى بعملائه فى مجالات الفكر والاقتصاد والسياسة . . وهناك الاستعمار الروسى الذى ينتعش الآن، وخاصة بعد عصر الوفاق الدولى، ويستخدم كل أسلحته لنشر العقيدة الشيوعية والسيطرة العسكرية على بعض المواقع الاستراتيجية حول مصر المسلمة، وفى بعض المناطق الحساسة من قلب العالم الإسلامى، تؤازره فى ذلك دول المعسكر الشيوعى خاصة كوبا وألمانيا الشرقية .

** ** **

وهناك العديد من الحقائق التى نتجاوزها الآن، لنصل إلى تقرير حقيقة أساسية وهى : أن مصر والبلاد الإسلامية لم توفق حتى الآن فى عملية البناء الحضارى المنشود، وذلك لشعور المسئولين بالخجل العميق من عقيدتهم الأساسية وأيديولوجيتهم التى أعطاها لهم ربهم . . أعنى الإسلام .

إن الازدواجية أو الانشطارية التى يعيشها المسئولون عن المسلمين، وكثير من قطاعات المسلمين أنفسهم تهدد البلاد الإسلامية تهديداً خطيراً وقاتلاً . . لقد امتدت هذه الازدواجية لتشمل كل شىء فى السلوك اليومى والعقائدى الذى يمارسه هؤلاء المسلمون وأولئك المسئولون .

ولعل أبرز مظاهر هذه الازدواجية التى قادتهم إلى الخجل من إسلامهم والهروب من روحه السمحة إلى رحاب الزيف

والغواية وتقليد الآخرين، تتضح فى النقاط التالية :

أولاً : تنص الدساتير فى مصر والدول الإسلامية - أغلبيتها الساحقة على الأقل - على أن الدين الرسمى فيها هو الإسلام . . ومع ذلك النص الرسمى الصريح حول تحديد هوية الدولة . . فماذا يجرى الآن ؟

إن الذى يجرى اليوم هو محاولة إزاحة الإسلام عن دخول معركة المقاومة ضد التخلف والفقر والجهل والانحطاط الحضارى والانهيار الذى تشهده مرافق الدولة المختلفة فى الإسكان والتعمير والتنمية والمواصلات، والأمن والدفاع وغيرها .

وكم شهدت المجالس النيابية محاولات عديدة ومستميتة لإقرار مشروعات قوانين اجتماعية تعتمد التصور الإسلامى ! وكان حظ هذه المحاولات جميعاً الفشل، حتى كتابة هذه السطور! ويتساءل المرء : لماذا الفشل . . رغم تعاطف الأغلبية الكبيرة من النواب من مشروعات هذه القوانين؟ إننا لا نستطيع أن نسمع إجابة رسمية واضحة . . ولكن ما نخرج به، هو الإحساس بأن شيئاً ما معادياً لهذا الوطن ولهذه العقيدة يقف حائلاً دون أن ترى التصورات الإسلامية النور!

*** *** ***

ثانياً : تمثل الصحافة فى عالم اليوم موقعاً خطيراً وحساساً للغاية . . فهى تقود المخ الشعبى لاتخاذ قراراته والحكم على الأشياء بعد أن يكوِّن تصوراً عنها - وللأسف فإن الصحافة فى

مصر وعالمنا الإسلامى تتحرك فى إطار مرسوم - نستثنى بعض الصحف الإسلامية المستنيرة التى لا تخضع للحكومات - وهذا الإطار المرسوم متأثر بما زرعه الاستعمار الانجليزى فى وطننا الإسلامى من احتقار للعقيدة والشعور بمركب النقص تجاه الأوروبيين ويظهر هذا التأثير واضحاً فى تعامل الصحف مع الأخبار والأنباء والأحداث الإسلامية.

إن وكالات الأنباء الأجنبية تطير كل الأنباء التى تحدث فى الدنيا: الغث والسمين، الحزين والسار، التافه والمفيد، ومن بينها بالطبع أنباء إسلامية تهم الإسلام والمسلمين.. ولكن صحافتنا الموقرة تقتطع كل ما يمت لكلمة «إسلام» بصلة، وتلقى به فى سلة المهملات؛ لأن أنباء الإسلام والمسلمين لا تعنى صحافتنا، بل هى مرفوضة أساساً.. سكرتارية التحرير فى كل صحفنا تفعل هذا.. ويقال إن ذلك بالأمر، وإذا حدث أن ظهر نبأ صغير عابر، فتكون المصادفة وحدها قد لعبت دورها فى إظهاره بالنسيان، أو استكمال صفحة ناقصة!

ومن ثم، فإن أحداً من المسلمين لا يعرف أنباء إخوته المسلمين فى بقية أنحاء العالم وما يلاقونه من هوان وعذاب وتشريد على يد الصليبيين والبوذيين واليهود والبلاشفة وأعداء الإنسانية فى كل مكان.

زد على ذلك، فإن ما يدعو للغرابة مثلاً أن تهتم صحافتنا

بأمور الشرائع غير الإسلامية اهتماماً ملحوظاً، وأمام الأمور المماثلة لدى المسلمين؛ فإنها تقف موقفاً متخاذلاً وذليلاً . . إنها تهتم مثلاً بانتخابات بابا الكاثوليك، وبابا الأرثوذكس، والمؤتمرات المسيحية، وأخبار اليوجا، وظهور العذراء، والممثل الذى يقوم بدور المسيح . . لكن أحداً فى صحافتنا لم يقف بمثل هذا الاهتمام للدفاع عن شريعتنا وتطبيقها، وسيادتها فى واقعنا الفكرى والعملى.

إن المؤتمرات الإسلامية التى تعقد هنا أو فى الخارج لتناقش قضايا الإسلام والمسلمين لا تجد فى صحافتنا السيارة من يغطيها ويناقشها بالصورة التى تساوى مع مهرجان السينما فى كان أو طشقند أو حتى مهرجان القاهرة! وذلك مفهوم بالطبع عندما نضع فى اعتبارنا موقف العداء المفروض أو التلقائى الذى تقفه صحافتنا من الإسلام والمسلمين.

صحيح أنه قد توجد فى بعض الصحف صفحات أو أجزاء من صفحات فى كل أسبوع أو فى كل رمضان عن الإسلام والمسلمين . . ولكنها تتحدث بطريقة تدعو للأسى أكثر مما تدعو للرثاء . . فهى إنشائيات باردة أو صامتة، لا تتفاعل بصورة جادة وفعالة مع واقع الإسلام والمسلمين فى عصرنا الراهن.

لقد وجدنا فى زمن غير بعيد أن من يتولون السيطرة على دفة الأمور فى صحافتنا مجموعة من الذين يعيشون فى كل

العصور، ولا يتورعون عن النفاق والكذب ومعادة الشريعة لتحقيق أهدافهم، بل إن بعضهم لا ينتمي إلى الإسلام أساساً، ولا يخجل أن يعلن التعبئة العامة فى صحيفته ليحقّر كل ما هو إسلامى، ويعلى من شر كل ما هو معاد للإسلام والمسلمين.. بل إن أقرب مثال فى ذهنى الآن.. ما يحدث فى الفلبين.. ففى الوقت الذى يذبح «ماركوس» رئيس الفلبين المتعصب عشرات المسلمين يومياً ويطردهم من أراضيهم وبلادهم فى جنوب الفلبين، نجد صحافتنا تهتم بحرمه المصون وزوجته «إيميلدا ماركوس» وأخبار تعيينها وزيرة للتنمية، ودورها فى الحملة الانتخابية، واحتمالات ترشيحها نائبة لرئيس الجمهورية، بينما تهمل صحافتنا الموقرة تماماً، أخبار المذابح والمجازر التى يقوم بها السفاح الفلبينى «ماركوس»!

** ** **

ثالثاً: من المؤكد أن إسلامنا قد وفر لنا نمطاً اجتماعياً يتفوق على كل الأنماط فى الغرب والشرق.. فهو يتفوق على ما قدمته الشرائع السابقة بحكم شموله وعمومه وصلاحيته لكل مكان وزمان بما يعطيه من مرونة الاجتهاد بعد الاعتماد على الكتاب والسنة والإجماع.. وهو أيضاً يتجاوز كل ما قدمته القوانين الوضعية فى العالم لبناء نمط اجتماعى متكامل.. ولكن المشرعين هنا فى أوطاننا الإسلامية يصرون على استلهام أو نقل

القوانين الوضعية التى ضجر منها أهلوها وتمردوا عليها . . إن قوانين الطلاق فى إيطاليا مثلاً قد تحطمت أمام الثورة الجامحة التى شملت المجتمع الإيطالى فى السنوات الماضية، واضطرت الحكومة والكنيسة إلى قبول الأمر الواقع، فأباحت للرجل الإيطالى حق الطلاق، وهو حق قررته شريعتنا الغراء منذ خمسة عشر قرناً تقريباً . . ومع ذلك يكابر البعض هنا، ويصرون على استيراد القوانين الأجنبية التى تنظم حياتنا الاجتماعية والأسرية . . بل يحاول البعض التخلص من بقايا القوانين التى تحمل تصوراً إسلامياً أو أثراً من شريعة الإسلام .

نحن لن ندخل فى معركة مع من يتحركون بالكيد والمكابرة، لأننا نعرف نواياهم ودوافعهم وتصرفاتهم جيداً . . ولكننا نود أن نذكر الأغلبية الصامتة والمتفرجة والتى يتوجب عليها أن تعتز بدينها وشخصيتها الإسلامية، وأن ترفض كل تشريع معاد للإسلام والشريعة الإسلامية . . نذكر هذه الأغلبية بأن المشروع الأوربى اليوم، يتحرك فى اتجاه جديد، هو دراسة التشريع الإسلامى، واستثماره على المستوى القومى الأوربى، وتقديمه للدنيا على أساس أنه تشريع أوربى خالص، يخدم الإنسانية جمعاء، فيحقق بذلك كسباً قومياً فى وطنه وبين قومه، ويحظى من العالم بمزيد من العرفان والتقدير!

لقد لعبت أوروبا هذا الدور قديماً بمستوى آخر وهو استثمار

التراث الإسلامى كله فى بناء الحضارة الأوروبية المعاصرة، واستطاعت أن تحشد طلابها وباحثيها لاحتواء ما قدمه الإسلام والمسلمون على مدى قرون عديدة، ثم تطويره فى جميع الاتجاهات، والخروج به على الدنيا كلها فى صورة جديدة، وضعتهم فى منطقة الضوء المتوهج، وجعلتهم مثالاً يحتذى، وحلماً يراه كل المتخلفون فى نومهم الثقيل!

إن هذا الدور الذى لعبته أوروبا بذكاء واقتدار، لعبه التتار بصورة معاكسة حين أغرقوا تراث الإسلام فى دجلة والفرات وصنعوا منه جسوراً تعبر عليها خيولهم وجنودهم فى حملة الغباء المجنون والدمار التى شنوها ذات يوم بعيد ضد العرب والمسلمين!

إن الدورالذى لعبه الفريقان إيجاباً وسلباً يثبت لهذه الأمة قدرتها على العطاء الخالد، فى كل وقت وحين، عندما تترك الكسل وتنزع إلى العمل. . ليس فى ميدان التشريع فحسب. . بل فى كل الميادين. .

ومع ذلك فإن بعض أبناء هذا الدين، المنتسبين إليه، وقفوا وقفة رهبية، يوم قدم للمجلس النيابى بإحدى الدول الإسلامية مشروع بقانون الردة، ثاروا وهاجوا وماجوا، وأثبتوا لأعداء الإسلام فى الخارج، أن فى بلاد المسلمين من هو أكثر منهم عداوة للإسلام والمسلمين رغم انتسابه إليهم، وانتمائه لهم!

*** *** ***

رابعاً: مما يفرضه الانتماء الإسلامى على المسلم الاعتزاز بدينه وكرامته وشخصيته، فى سلوكه وتصرفاته، وأفكاره ومظهره، وتعامله مع نفسه ومع الآخرين.. ولكننا اليوم نواجه ظواهر اجتماعية خطيرة للغاية توضح إلى أى مدى يخجل المسلمون - كثير منهم - على مستويات عديدة من إسلامهم: الهوية الشخصية. وسوف نعدد هنا بعض هذه الظواهر ونرجو ألا نتوقف أمامها بالتحليل طويلاً، وإن كنا نترك للقارئ فرصته فى التأمل الهادئ المستنير.

إن المسلمين فى كل مكان وزمان يعتبرون من مفاخرهم وأمجادهم أن يتسمى أبناؤهم بأسماء إسلامية لبنى الإسلام ص ولقادة الإسلام وأعلامه الأبطال، وأن تتسمى بناتهم بأسماء زوجات النبى عليه الصلاة والسلام، وبناته، والبارزات من المسلمات فى كل العصور.

والسؤال الآن: بماذا يسمى المسلمون أبناءهم وبناتهم فى هذه الأيام؟

إن الإجابة على هذا السؤال تقول: إن كثيراً من المسلمين أصبحوا اليوم يلجأون إلى ظاهرة الأسماء المشتركة التى يتسمى بها المسلم وغير المسلم، وحتى الحكومة فى إحدى البلاد الإسلامية أصرت على منع الأسماء الإسلامية التى تميز هذه

الأسماء المشتركة . . وقررت أن تكون الأسماء مفردة ، وليست مزدوجة . فمثلاً المسلمون يسمون : محمد كمال ، أحمد حلمي ، محمد ثروت ، وأحمد سامح . . إلخ ، فأصبح لازماً كي يسجل اسم الطفل أن يكون : كمال ، حلمي ، ثروت ، سامح ، دون ذكر الاسم الأول !!

إن الآخرين لا يخجلون من تسمية أنفسهم بأسماء أنبيائهم وأوليائهم وزعمائهم الدينيين . . بل إن البعض يغير اسمه الأصلي ويتخذ اسماً يتناسب مع عقيدته .

قد يقول البعض : أهذا كلام تشغلنا به؟ ما هو الفرق بين اسم واسم؟ دعنا نبحث أموراً أهم . .

وأقول إن الأسماء مظهر من مظاهر شخصيتنا وهويتنا ، والتفريط فيها تفريط في كل شيء . . وسوف أذكر بما فعله «مناحم بيجين» رئيس وزراء العدو اليهودي ، الذي غيّر اسم «الضفة الغربية» و«غزةَ» في فلسطين المحتلة إلى «يهودا» و«السامرا» كاسمين عبريين يعتز بهما ، وما يزال يردد حتى الآن هذين الاسمين دون أن يعترف أنهما لقوم آخرين !

إن مسألة الأسماء على مستوى الأشخاص لا تحتاج إلى تدخل حكومي لتصحيحها . . فالحكومة لن تدخل بالطبع ، وبأيدينا كمواطنين أن نفخر بأسلافنا الأماجد ، وأسمائنا العربية الإسلامية المشرقة ، وينبغي ألا نخجل من أسمائنا . . فهي

بعض إن لم يكن كل هويتنا وشخصيتنا .

ويلحق بهذه الظاهرة تغيير الأسماء الخاصة بالأعمام والعمات والأخوال والخالات والإخوة إلى أسماء أجنبية فكثيراً ما نسمع أولادنا ينادون أقاربهم : «أبيه»، «تانت»، «أونكل» . . إلخ . . واستخدام هذه الألفاظ الأجنبية يعبر عن قصور واضح فى شخصيتنا وهويتنا ، يستدعى بالضرورة أن نرفضه ، ونستبدله بما يعزز كرامتنا وذاتنا ، ويحفظ كبرياءنا الإنسانى ، من خلال تمسكنا بأسمائنا ، ولغتنا التى سنتحدث عنها فيما بعد . . إن البعض قد يعتبر ذلك نوعاً من التدليل المسموح به للأبناء ، ولكنه تدليل مرفوض لأنه يقود إلى استهتار بالغ باللغة ، ويفتح الباب على مصراعيه لإذابة الشخصية الإسلامية فى شخصية أخرى غريبة عن شخصية المسلم وطبيعته المنفردة .

وبالنسبة لأسماء البنات ، فقد أصبحت قطاعات كثيرة ترفض أن تسمى بناتها بالأسماء التى توارثناها ، ويعتبرونها أسماء قديمة و«بايخة» و«بلدى قوى»!! ويبحثون عن أسماء أخرى «مودرن» و«شيك» وأفضل من «خديجة ، فاطمة ، عائشة ، زينب ، نفيسة . . »!!

ولا تعليق لنا على ذلك إلا القول بأن هذه الظاهرة نتيجة طبيعية لتلك الازدواجية أو الانشطارية التى نعيشها فى هذا الأوان ، والتى أفقدتنا شخصيتنا الإسلامية . .

ومن الظواهر الاجتماعية المؤسفة أيضاً، أن تتعامل الحكومات الإسلامية بالتاريخ الأفرنجى دون التاريخ الهجرى الذى اتخذه عمر تقويماً للمسلمين تمييزاً عن سواهم. . قد تكون هنالك بعض الحجج التى يسوقها البعض فى إيثار التاريخ الأول على التاريخ الثانى، ولكن تمييز شخصيتنا ضرورة حضارية فضلاً عن كونها إسلامية. . إن بعض الدول الإسلامية مازالت حتى اليوم حريصة على التعامل بالتاريخ الهجرى فى مكاتباتها الرسمية ومراسلاتها اليومية. . فضلاً عن شيوع استخدام هذا التاريخ لدى شعوبها بطريقة تلقائية، وهو ما تستحق عليه الشكر والتقدير، وهو أيضاً ما يجعلنا نطالب الآخرين بالاقتداء بها، ليس فى استخدام التاريخ الهجرى فحسب، بل فى كل الملامح الخاصة والمميزة لشعوبنا المسلمة.

*** *** ***

وإذا انتقلنا من مسألة الأسماء والتواريخ إلى عالم المرأة المسلمة المعاصرة، فإننا نجد عجباً. . المرأة المسلمة أصبحت اليوم ذيلاً تابعاً للمرأة الغربية، وأصبحت مجلة «البوردا» القبلة الأولى التى تتجه إليها المرأة المسلمة المعاصرة قبل أى شىء آخر، وأضحت مبتكرات «كريستيان ديور» و«ماركس آند سبنسر» اليهودية، الشغل الشاغل للمرأة المثقفة أو المتعلمة المنتمية رسمياً إلى دنيا الإسلام والمسلمين. ونحن لن نطيل فى

هذه النقطة التى تحتاج إلى كتاب ضخم يعالج قضية المرأة المسلمة فى عصرنا الراهن، ولكننا فقط نشير إشارة عابرة إلى ما تمثله المرأة بالنسبة لمجتمعاتنا الإسلامية من كونها الركيزة الأساسية، والمصنع الأول الذى ينجب رجال هذا المجتمع الإسلامى ويوم يفرط هذا المصنع وتلك الركيزة فى الحفاظ على الشخصية المستقلة والهوية المميزة للرجل الإسلامى، فإن الكارثة تكون أكبر من أى شىء آخر..

إن المرأة المسلمة مطالبة فى عصرنا أن تحافظ على استقلالها وشخصيتها لأن من تملك شخصية متميزة، واستقلالاً خاصاً، قادرة على إنجاب وتنشئة رجال يعتزون بدينهم وعقيدتهم ومستقبلهم المنشود أيما اعتزاز.

وإذا كانت المرأة أسرع الأطراف فى مجتمعنا الإسلامى إلى التقليد ومحاكاة الآخرين، فى الزى والسلوك، فإن المبعوثين إلى الخارج مثلاً؛ لا يقلون تأثراً عن المرأة فى الرضوخ للتقليد ومحاكاة الآخرين فى كل الأمور! بل إن بعضهم يتنكر لكل شىء فى وطنه: تاريخه وماضيه، وواقعه وحاضره، وقيمه ومثله، وعاداته وتقاليده.. بل يذهب بعضهم إلى احتقار كل شىء فى أوطانهم والزراية بمواطنيه الذين يحتاجونه فى ساعة الشدة..
وكم رأينا مبعوثين ذهبوا وهم يحملون عقيدة إسلامية، فرجعوا وهم يحملون عداء لهذه العقيدة، بعد أن سقطوا فى بحر الإغراء

الأوروبى العميق . . ومن العدل أن نقول بأننا رأينا مبعوثين آخرين ذهبوا ، وعادوا وهم أشد إيماناً بإسلامهم وعقيدتهم الإسلامية الغراء . . لقد أدركوا ببصيرتهم الواعية أن الأمل بالنسبة للإنسانية كلها فى سيادة الإسلام على العقول والقلوب ، وأن الخلاص مرهون باتباع شريعة الله الصافية فكراً وعملاً ، ومنهجاً وسلوكاً .

بالطبع ، فإن المرء لابد أن يشعر بالاشمئزاز من مبعوث عائد يأنف أن يذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» فى بدء محاضراته أو خطبه أو أحاديثه ، أو يرفض أن يصلى ويسلم على نبى الإسلام ـ ﷺ ـ حين يأتى ذكره . وبالطبع أيضاً سوف يشعر المرء بالسعادة حين يرى مبعوثاً عائداً يرى فى إسلامه العقيدة الصحيحة ، والمنهج الجاد الذى يبنى ويعمر ويحقق آمال الإنسانية المنشودة من خلال المقارنة والتجربة . . وبالضرورة فإننا نؤمن أن الاعتزاز بالإسلام لا يعنى القبول بما يعيشه المسلمون من قصور وسلبيات جعلتنا وتجعل غيرنا يكتب مثل هذا الكلام فى رفضها لأنها تتنافى مع طبيعة العقيدة ومنهج الشريعة .

** ** **

خامساً : أن اللغة العربية تمثل ديننا الإسلامى أساساً حيوياً لإقامة هذا الدين ، واستمرار عطائه . . وقد عمد الغزاة من أعداء الإسلام إلى محاولات كثيرة لهدم هذا الأساس الحيوى بأساليب

مختلفة ورأينا الدعوات التى تنادى بضرورة إحلال اللهجات المحلية العامية محل اللغة الفصحى، وشهدنا هذه الدعوات التى تطالب أو التى نفذت بالفعل فى مجالات التحرير الصحفى والأدبى والإذاعى بهذه اللهجات، أو تلك التى اتخذت من المطالبة بالعامية مطية لتحقيق أغراض شعوبية وإقليمية وانفصالية .

إن اللغة العربية ضرورة فى عالمنا العربى المسلم لإبراز شخصيته وهويته، بعد أن طحنته المحن والآلام. ومن الأمور التى يسر لها المرء، محاولة الإخوة المسلمين فى خارج عالمنا العربى تعلم اللغة العربية، والتحدث بها، واستخدامها لغة خطاب يومى. . يقابل ذلك أمر مؤسف حيث تتوارى اللغة العربية رسمياً فى بعض دول الجامعة العربية التى انضمت إليها مؤخراً لتحل محلها لغات أجنبية، وليس لهجات محلية فقط (!!!) فى الوقت الذى فرضت اللغة العربية نفسها فيه كلغة رسمية فى الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية .

إن تطور اللغة أمر ضرورى، وتأثرها وتأثيرها أمر معترف به فى تطور اللغات. . ولكن التفريط فى اللغة شىء آخر، يتنافى مع طبيعة الاعتزاز بالشخصية والحرص على الهوية. لقد قام مجمع اللغة العربية فى القاهرة ودمشق بمحاولات جادة فى ميادين المعاجم والمصطلحات الأجنبية والألفاظ العامية ذات

الأصول الفصيحة . . ولكن هذه المحاولات لا تغنى عن وقفة موضوعية ، مع الإصرار الواضح من بعض الجهات العلمية فى تعريب الطب والهندسة والمصطلحات العلمية والتقنية .

إن تعريب الطب أصبح ضرورة يتطلبها الوعى بالذات العربية ؛ والشخصية الإسلامية . . وقد قامت بعض الدول العربية مشكورة بهذه الخطوة فى أكثر من مجال ، بيد أن دولاً أخرى تقف بالإصرار الواضح ضد عملية التعريب . . لقد قامت محاولات التعريب المضنية فى مصر منذ خمسين عاماً . . ولكن هذه المحاولات جميعاً باءت بالفشل ، وكانت التعللات التى تطرح أمام هذه المحاولات قلة عدد الدارسين للطب فى بلدنا ، أو عدم القدرة فى حالة التعريب على مجاراة الإنجازات الطبية الجديدة فى العالم . ونحن والحمد لله قد وصلنا إلى درجة صرّح فيها نقيب الأطباء بأن عدد الأطباء بعد فترة قليلة سيزيد عن العدد المطلوب ، وطالب بتقليل المقبولين فى كليات الطب ، كما دعا إلى إغلاق كليات الطب التى تقام فى الأقاليم . . فماذا ننتظر بعد الآن؟ إن التعلل بعدم القدرة على مجاراة الجديد فى الطب نتيجة لتعريب الطب قول سخيف ومرفوض أصلاً ، وذلك لأن الرغبة العلمية لدى من يريد الاطلاع على الجديد لا يوقفها التعريب بحال من الأحوال .

لقد أصبح من الضرورى لاستكمال مقومات الشخصية

الإسلامية العربية أن يكون هناك استقلال كامل فى شتى المجالات ذات المظهر اللغوى . . ومن مظاهر الاستقلال فى الوقت نفسه أن نتعلم كثيراً من اللغات الأجنبية، فنزداد معرفة بالدنيا من حولنا، وفهماً لما يجرى لدى الأعداء وعند الأصدقاء . .

والاستقلال اللغوى بالضرورة سيحقق لنا علاجاً فعالاً فى مواجهة مركب النقص الذى نستشعره إزاء الحضارة الغربية المعاصرة، وسيبعث فى داخلنا عنصر المبادأة فى الاكتشاف والابتكار، وسينشط حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، والعكس صحيح أيضاً .

*** *** ***

بقيت هنا نقطة أود الإشارة إليها . . وهى ما يحدث من بعض المسئولين على مستويات متعددة، حين يتحدثون فى مؤتمرات أو اجتماعات، ويخطئون فى اللغة بصورة تدعو للرثاء والأسف . ورغم أى شىء . . فإنه يمكنهم الحفاظ على مظهرهم القيادى، بإعداد ما يقولون كتابة مع ضبطه وتشكيله، حتى لا يكونوا محل انتقاد، أو مصدر تشجيع على الاستهانة باللغة وتحطيمها .

سادساً : يمثل النظام التعليمى فى أى دولة الصورة الصافية للأهداف الاستراتيجية التى تتطلبها الدولة فى أجيالها الناشئة .

ولأننا نبحث عن هويتنا وشخصيتنا الإسلامية فى الظروف الراهنة، فإننا للأسف لن نعثر على هذه الشخصية ولا تلك الهوية فى النظام التعليمى الراهن.

إن هذا النظام يعيش الازدواجية أساساً فهناك تعليم تابع للأزهر يفترض فيه أنه يركز على تعليم الشريعة واللغة، وتعليم آخر تابع لوزارة التعليم يفترض فيه أنه يعمل على تحصيل الطالب للمواد الدراسية جميعاً مع تفاوت فى أنواع المدارس المختلفة.

ومع هذه الازدواجية، فقد أصبح التعليم فى الأزهر والوزارة لا يحقق الهدف المفترض، كما أن مستوى التعليم أصبح رديئاً وبصورة أنذرت بالخطر منذ زمان.. لقد مات التعليم الأزهرى يوم صدر قانون تطويره فى أوائل الستينات، وأصبح واقعه عجيباً، ويشبهونه اليوم بهرم مقلوب، قاعدته إلى أعلى وقمته إلى أسفل. القاعدة العلوية تمثل الكم الهائل من طلاب الجامعة الأزهرية، والقمة السفلى تمثل العدد الضئيل من تلاميذ وطلاب المرحلتين الابتدائية والإعدادية ومعهما المرحلة الثانوية. وقد لجأت وزارة الأزهر مؤخراً إلى لعبة خطرة حين سمحت بقبول الطلاب الحاصلين على الإعدادية العامة من ذوى المجاميع المرفوضة فى وزارة التعليم لدخول المرحلة الثانوية الأزهرية.. إن هؤلاء الطلاب لا يحفظون القرآن، ولا يتقنون اللغة، وليس لديهم استعداد للسير على المنهج الأزهرى.. ولكن اللعبة

الخطرة فى الأزهر تأخذ مداها حين يتم قبول طلاب فى المرحلة الإعدادية لا يحفظون القرآن ولا يعرفون القراءة والكتابة أساساً!! إننا لا نعرف كيف ستتم معالجة هذا الوضع السيئ مستقبلاً، ولكن النتيجة المحققة لهذه اللعبة الخطرة، تنشئة جيل ضعيف لا يعرف شيئاً عن إسلامه ولا دنياه، ولن نستغرب من هذا الجيل بعد ذلك أن يخجل من كونه مسلماً ومنتمياً للمسلمين، لأنه فقد الطريق الصحيح، والتربية السليمة!

والحال لا تسر فى وزارة التعليم.. فالوزارة جعلت من تدريس الدين الإسلامى مادة هامشية، وليست رئيسية، رغم أنها مادة نجاح ورسوب.. وقد تعود الطلاب الآن أن يؤجلوا قراءة كتاب التربية الدينية الإسلامية حتى ليلة الامتحان.. لأنهم متأكدون تماماً أن النجاح حليفهم فى هذه المادة، وأن نتيجتهم العامة (ذات المجموع) لن تتأثر بمجموع التربية الدينية!

واللغة العربية فى وزارة التعليم أضحت ضرباً من السطحية والخلط وسد الخانة.. ومن الصعب على تلميذ فى الثانوية العامة قراءة قطعة أدبية أو نص علمى قراءة سليمة وجيدة، فضلاً عن كتابتها. وأصبحت اللغة العربية تمثل للطلاب الآن أسوأ المواد.. تدريساً وفهماً وانتماء!

لن نتحدث عن بقية المواد، لأننا نريد أن نشير إلى أن المادتين الأساسيتين فى تشكيل الشخصية الإسلامية للطالب لا

تحققان الهدف المفترض فى الدستور والذى يجعل من الدين الإسلامى ديناً رسمياً حقيقياً للمواطن فى مصر . . وقس على ذلك ما يجرى فى دول عربية وإسلامية كثيرة .

إن فشل الأزهر ووزارة التعليم فى تخريج المواطن المسلم الذى يفخر بإسلامه وانتمائه للإسلام والمسلمين قضية هامة وحيوية ، تقتضى أن نقف أمامها بكثير من الدرس والتحليل ، وإخضاع هاتين الجهتين تماماً لما تفرضه شريعتنا الغراء ، من تجاوز للازدواجية ، وبناء الشخصية الإسلامية بناء جاداً ومتفوقاً فى كافة المجالات العلمية والتربوية ، انطلاقاً من قاعدة الإسلام الصلبة والصحيحة .

*** *** ***

ونتوقف عند هذا الحد من النقاط التى أوضحنا فيها مظاهر الازدواجية أو الانشطارية التى قادت إلى الخجل من إسلامنا والهروب من روحه السمحة إلى رحاب الزيف والغواية وتقليد الآخرين . .

ومهما يكن من شىء ، فإن لنا أن ننظر حولنا جيداً ، ونرى ماذا يحدث على الجانب الآخر من العالم بعيداً عنا . .

إن أول ما يمكن أن نراه هو التجربة اليهودية التى قامت بالقرب منا فى فلسطين . . لقد صنع اليهود دولة ، انطلاقاً من

إيمانهم بعقيدتهم وتوراتهم ووحى زعماء شريعتهم.

إن اليهود يتحركون بوازع دينى، وليس خوفاً أو هلعاً من إرهاب المسئولين عنهم. إن حكامهم وحكومتهم أول من يحترم الدين، ويحرص عليه، ويتفاوض باسمه مع الآخرين (نحن بالطبع) دون أن يخجلوا من يهوديتهم، أو يتوارون خزياً من ذكر هويتهم!

وما زال «مناحم بيجين» يتحدث عن وعد «يهوه» وعن الحق التاريخ الدينى فى الضفة الغربية وغزة وسيناء ومصر وأرض الفرات.

وفى يوم السبت من كل أسبوع تتوقف المواصلات فى إسرائيل وقد رفض «ليفى اشكول» و«جولدا مائير» أن يركبا عند تشييع جنازة «تشرشل» لأن يوم الجنازة تصادف وكان يوم سبت.

وعند المناسبات المختلفة مازال اليهود يلبسون «الطواقى» تعبيراً عن شخصيتهم اليهودية، وهويتهم العبرانية!

ومازال «موشى ديان» يفتش باحثاً حول المسجد الأقصى فى القدس الشريف، عن آثار يهودية يفاخر بالانتساب إلى من صنعوها من أجداده.

وقال الذين شهدوا هزيمة ١٩٦٧ أن عساكر اليهود كان يقبّلون أرض سيناء باعتبارها أرض الميعاد كما علمتهم التوراة،

كما كانوا يعلّقون على صدورهم نماذج مصغرة للتوراة.

وإذا تركنا التجربة اليهودية جانباً، والتى حققت الكثير بإيمانها اليهودى وإصرارها على هذا الإيمان، فإننا نجد تجارب كثيرة فى اليابان وألمانيا والأوقيانوس . . وحتى زائير . . إن هذه التجارب حققت نجاحاً ملموساً، بل مذهلاً كما فى بعضها (ألمانيا، اليابان مثلاً) وكان ذلك بالضرورة بفضل انتمائها إلى شخصية واضحة، وهوية متميزة، إن اليابانيين لا يخجلون، رغم تقدمهم التكنولوجى المذهل من تقبيل يد الإمبراطور «هيروهينغ» والانحناء أمامه كما تقتضى بذلك أصالتهم وعقائدهم . .

ولكننا هنا خضنا كثيراً من التجارب الفاشلة، بعيداً عن ديننا وإسلامنا، وفقدنا شخصيتنا وهويتنا . . وأصبحنا نخجل من انتسابنا للإسلام على النحو الذى فصلناه من قبل . . ومن عجب أن تزدهر بيننا نتيجة لهذا الوضع انتماءات أخرى، تعلو عند أصحابها على أى انتماء آخر حتى ولو كان الإسلام.

هناك من ينتمون إلى النوادى الرياضية بصورة هستيرية، تعبر عن انحطاط حضارى لم يشهده وطن آخر . . وتسأل هل يمكن أن يحظى الانتماء إلى الإسلام بشىء من التعصب الذى يكنه البعض للأهلى أو للزمالك؟

وهناك من ينتمون إلى «الناصرية» - نسبة إلى الطاغية

المهزوم جمال عبد الناصر - ويعتبرون هذه الناصرية عقيدة لا تقل بحال من الأحوال عن عقيدة الإسلام إن لم تتفوق عليها!

وهناك من يحاول المغالطة ويشرك فى إيمانه بالإسلام - كما يزعم - إيماناً آخر بالماركسية أو الاشتراكية، وهما من المذاهب الهدامة التى ترفض الدين أساساً، وتعتبره أفيوناً للشعوب يخدرها ويقعدها عن الكفاح والنضال والثورة!

وهناك آخرون، من الوجوديين والماسون والروتاريين والبهائيين وكلهم يحاولون الإعلاء من شأن هذه الفلسفات والنظريات على شريعة الإسلام، بالمفاخرة، والنشر، والترويج..

إن أحداً لا يستطيع أن يرغم أحداً على الدخول فى شرعة الإسلام ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾[1]، ولا أحد من المسلمين الحقيقيين يقبل أن يدخل أحد إلى ملة الإسلام رغماً عنه؛ فهذا خارج عن حدود الدائرة الإسلامية الصحيحة، ولكن أحداً من المسلمين الحقيقيين لا يقبل بالازدواجية أو الانفصامية التى يحاول أصحابها الانتماء سراً أو رسمياً إلى الإسلام، ثم ممارسة أسلوب آخر يختلف ويتنافى مع الإسلام.

إن المسلم يجب أن يفخر بإسلامه، ولا يخجل؛ لأن الدين عند الله الإسلام، ولأن كل نبى من أنبياء الله عليهم الصلاة

---

(1) سورة البقرة، الآية: 256.

والسلام كان يفاخر بإسلامه ولا يخجل منه، بل إن حوارييهم كانوا على نفس الطريق، ولنستعرض معاً بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن إسلام الأنبياء وأتباعهم فى وضوح قاطع:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (1) ، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (2) ، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (3) ، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (1) ، ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ؟﴾ (2) ،

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 19، 20.
(2) سورة آل عمران، الآية: 52.
(3) سورة آل عمران، اية 64.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [3] ، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [4] ، ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (١٦١) قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [5] ، ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ [6] ، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [7] ، ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ [8] ، ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [9] ، ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [1] ، ﴿وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا

(1) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(2) سورة آل عمران، الآية: 80.
(3) سورة آل عمران، الآية: 85.
(4) سورة آل عمران، الآية: 102.
(5) سورة الأنعام، الآيات: 161 – 163.
(6) سورة المائدة، الآية: 111.
(7) سورة المائدة، الآية: 3.
(8) سورة يوسف، الآية: 101.
(9) سورة يونس، الآية: 84.

مُسْلمينَ ﴾[2] ، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَتَّخذُ وَلِيًا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [3] ، ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[4]

وبعد ...

فهل نستطيع بعد هذه الرحلة السريعة والخاطفة، أن نقول بكل ثقة : إن الإسلام شخصيتنا وهويتنا، وإن حركتنا لابد أن تنطلق دائماً من داخل الدائرة الإسلامية، وإن مستقبلنا المنشود مرهون بالاعتزاز بانتمائنا إلى الله ورسوله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، وإن تربية الإرادة الظافرة لدى شعوبنا الإسلامية متوقف على بث العقيدة الإسلامية فى خلايا المخ الإسلامى والعقل الإسلامى والقلب الإسلامى.

نعم.. نستطيع .. يمكننا أن نقول وأن نفعل، شريطة أن تطرح الانشطارية والازدواجية جانباً، وأن نتعامل بإسلامنا

---

(1) سورة يونس، الآية: 72.
(2) سورة الأعراف، الآية: 126.
(3) سورة الأنعام، الآية: 14.
(4) سورة الحج، الآية: 34.
(5) سورة المنافقون، الآية: 8.

ومعه . . دون خجل أو خوف ، أو كسل أو جهل . .

إن الآفاق أمامنا رحبة وواسعة ، وعلينا أن نقتحمها بكل ما نملك من يقين وعزة وثبات . . وسوف يكون الله بجانبنا . . لأنه وعدنا بذلك ، ووعده الحق .

﴿ ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴾(1) .

** ** **

(1) سورة الأنبياء، الآية: 105.

الزواج الباطل بين
الماركسية والإسلام

كان آخر ما نقلته وكالة الأنباء الفرنسية عن تصور الماركسيين السوفييت للإسلام والحياة الإسلامية، هو تعليق جريدة «البرافدا» لسان حال الحزب الشيوعي السوفييتي عن انعقاد المؤتمر الدولي لأسلوب الحياة الإسلامي المنعقد في الباكستان. وقالت الوكالة، وفق ما جاء بجريدة الأخبار القاهرية الصادرة في ٧/ ٤/ ١٩٧٦م ما يلي: «هاجمت صحيفة «البرافدا» المؤتمر الدولي لأسلوب الحياة الإسلامي الذي يحضره علماء المسلمين في باكستان وقالت الجريدة إن علماء الدين ذوي النفوذ في العالم العربي يهاجمون الماركسيةوأضافت أن العقائد الدينية تُتَّخَذ مبرراً للتخلف الاجتماعي والاقتصادي»(!!).

ولا نستغرب أن يصدر مثل هذا التعليق الرديء عن «البرافدا» الروسية، ولكن الذي نستغربه حقاً، هو إصرار الماركسيين العرب حتى هذه اللحظة، على أن الماركسية لا تتعارض مع الإسلام، ويردد بعضهم أنها نظرية اقتصادية بحتة، لا تتدخل في العقيدة الدينية، شأنها في ذلك شأن أي نظرية علمية تخدم الإنسان في حياته المعاصرة! ورغم تفاهة هذه المزاعم وأمثالها، لتناقضها مع حقيقة الفكر المادي الذي

يصدرون عنه، والذي يرى في الحتمية المادية قانوناً يفسر الكون والتاريخ، ويرفض أي قانون آخر أو شريعة أخرى، فضلاً عن تناقض هذه المزاعم مع التصور الإسلامي أساساً، فإن بعض الناس ربما يتوهم، سذاجة أو حسن نية، أن السماحة قد حلت بساحة الماركسيين، فأصبحوا يدينون بالإسلام فوق إيمانهم بالماركسية، وأنهم عقدوا زواجاً مباركاً بين الاثنين بفضل عبقريتهم الجدلية أو حتميتهم المادية!

ويبدو أن الماركسيين العرب لم يسمعوا عن طرد الأعضاء المسلمين في أحد المجالس الشعبية بالاتحاد السوفييتي، ولم يعلموا باضطهاد مسلمي كازخستان وتركستان وغيرهما من أوطان المسلمين في الدول الاشتراكية، ولم يقرءوا عن محو الدين الإسلامي من وجدان المسلمين داخل الحزام الشيوعي وخارجه؟

ولعل هؤلاء توهموا أن ذلك دعاية من الثورة المضادة تبثها ضد الاشتراكيين الرحماء! أو أنه خرافة نسجتها «الإمبريالية» عدوة الشعوب!

ونود أن نقول إن التصالح بين الماركسية والإسلام من الأمور المستحيلة، عقلاً وعملاً، فالإسلام شريعة تجبّ ما قبلها وما بعدها من العقائد والنظريات الوضعية لأنه صادر عن الذات الإلهية الخالقة، والتي تشرع للمخلوق حياته وفق تفكير أسمى

وأعلى، لا ندركه، ولأن الماركسية تعتبر الدين أفيوناً للشعوب، وأن العقائد الدينية - في تصورها - تتخذ مبرراً للتخلف الاجتماعي والاقتصادي، فإن لقاء الإسلام بالماركسية يوجب أن يلغي أحدهما الآخر، والإسلام لا يمكن إلغاؤه، ولا يستطيع أحد من الناس أن يفعل هذا مهما أوتى من قوة، والتجربة شاهدة على ذلك في قلب الاتحاد الإسلامي هنالك رغم إصراره بكل الوسائل على إخمادها ومحوها من وجدانهم![1] وبالطبع فإن الماركسيين لا يقبلون بإلغاء عقيدتهم والانضواء تحت لواء الإسلام خضوعاً لمنطق العقل وحتمية التفكر المستنير، اللّهم إلا من هدى الله، فاستنارت بصيرته، وسلك الطريق المستقيم، ﴿ فمن يُرِدِ اللَّهُ أن يهدِيَهُ يشرحْ صدرَهُ للإسلامِ ومن يُرِدْ أن يُضلَّهُ يجعلْ صدرَهُ ضيقاً حرجاً كأنَّما يصَّعَّدُ في السَّماءِ كذلكَ يجعلُ اللَّهُ الرِّجسَ على الذين لا يؤمنون * وهذا صراطُ ربِّكَ مستقيماً قد فصَّلنا الآياتِ لقومٍ يذكَّرون ﴾[2].

بيد أنا نريد أن نلح على حقيقة، قد تكون غائبة عن البعض، وهي أن الماركسية أساساً بنت شرعية للصهيونيةوقد تحدثت عن هذا بروتوكولات حكماء صهيون وورد في البروتوكول الثاني:

« إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتباه من قبل، وإن

---

(1) من بين ما قام به الاتحاد السوفييتي ضد المسلمين، إفراغ منطقة القرم الإسلامية من سكانها، وقد تم ذلك خلال نصف قرن منذ بداية الثورة البلشفية.

(2) سورة الأنعام، الآيتان: 125، 126.

الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً، ولكن ينبغي أن ندرس ونعي ما يلاحقه منها أخلاق الأمم وميولها».

وجاء في البروتوكول الثالث:

«إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم أن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طبقاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية».

وقد سيطر اليهود في روسيا على أبرز منظمة اشتراكية إرهابية أوائل القرن العشرين، وهي المنظمة التي عرفت باسم «الحزب الاشتراكي الثوري» وكان يرأس قسم الإرهاب فيها يهودي اسمه «غرشوني»(1).

إذا كانت الماركسية على هذا النحو من العلاقة الوطيدة بالصهيونية، فكيف يسوغ الماركسيون العرب لأنفسهم أن يصروا على التوفيق بين الماركسية والإسلام؟!

إن الماركسية لا تؤمن إلا بالمادة، وتعتبر ما عداها غيبيات،

---

(1) يمكن للقارئ أن يطلع على تفصيلات أكثر لو راجع «اليهودية» للدكتور أحمد شلبي، ط القاهرة، 1966.

فكيف يكون المسلم ماركسياً و العكس؟ إن البعض أراد أن يجتهد فأخطأ؛ لأن المسلم حين يفهم قرآنه، والسنة المطهرة، وسيرة المجتمع الإسلامي الأول، يستطيع أن يتحرك دون حاجة إلى ماركسية تسنده، أو وجودية تأخذ بيده، أو امبريالية تحتضنه، ونريد أن نؤكد أيضاً أن الماركسية ليست نظرية اقتصادية أو سياسية فحسب، بل هي فلسفة، وعقيدة متكاملة وضعها نبي الماركسية «كارل ماركس» وصاحبه «انجلز». وتشمل جوانب الفكر والسلوك والصراع وكل ما يتعلق بالإنسان من قضايا، ومن ثم نستطيع أن نعلل مثلاً احتكارهم - رغم أنهم ضد الاحتكار نظرياً - لتفسير العالم تفسيراً شمولياً رغم صعوبة هذا التفسير، وقصور العقل البشري عن إدراكه وحده!

لقد احتكر الماركسيون - مثلاً - قضية النضال من أجل العمل والعمال، ثم زعموا أنهم يطالبون بالدفاع عن حقوقهم ويرغبون في تحريرهم، متناسين أن هذا سطو واضح، على شريعة الإسلام التي حررت العبيد . . كل العبيد . . ابتداء من الرق، حتى استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ولو بتطفيف الكيل!

إن الإسلام لم يهمل أصول العبادات والمعاملات، وفي هذه الأصول ما يغنينا عن استيراد النظريات الجاهزة، ونظرة واحدة إلى النظام الربوي القائم في الاقتصاد العالمي والذي شجعه بل أنشأه اليهود، يدرك إلى أي مدى كانت الكارثة التي

حلت بالمسلمين نتيجة هذا النظام الذي يعمل به الماركسيون والإمبرياليون جميعاً!

ونحن ندعو كل الذين لا يرون في الإسلام تحقيقاً لطموحاتهم أن يعيدوا، أو يقرءوا بمعنى أدق، النصوص الإسلامية، لعلهم يتصالحون مع الإسلام وشرعته ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(1) .

لقد زعم البعض أن الماركسية لم تبدأ الإسلام بعداء، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾(2) وهذا استشهاد في غير موضعه، لأن الماركسية لم تلق السلام للإسلام، ولم تهادنه بل اعتبرته من أخطر أعدائها، وانظر ما جرى للمسلمين في الدول الاشتراكية مقارناً بزملائهم من المسيحيين والبوذيين! كما أن السلوك الماركسي في العالم العربي يعتمد التكتيك المرحلي ليحقق أهدافه دون ضجيج مستفيداً من التجارب التي سبقت ودفع فيها الثمن غالياً كما حدث له في العراق والسودان مثلاً!

وهذا التكتيك المرحلي الذي يعتمد على إعلان التصالح بين الماركسية والإسلام، لن يقدّر له النجاح، لأنه خداع معروف، وقد حاول الماركسيون في إيطاليا والبرتغال والعراق

(1) سورة يوسف، الآية: 108. (2) النساء الآية : 94

لتنفيذ هذا التكتيك في إطار آخر، هو قبول الحكم الائتلافي في هذه الدول تمهيداً للسطو على السلطة تماماً، وحينئذ يحققون إيمانهم الأصلي بحتمية الصراع الطبقي دموياً، ومن يسقط التصالح مع أي فكرة أو عقيدة تخالف أفكارهم وعقائدهم وشرائعهم!

تقول مجلة ماركسية في العالم العربي، وهي ترد على أحد القراء، أنه يهمها: «أن توضح للصديق الكاتب أن ما نعاه (عليها) بأنها لا تهتم إلا بالتكتيك المرحلي هو ميزة (لها)، فمن السهل جداً لأي إنسان أن يحدد هدفه الاستراتيجي، ولكن الصعب دائماً هو صياغة التكتيك الثوري، أي أسلوب النضال والحركة، وهو الذي يتغير دائماً كل فترة، بل كل يوم، وأحياناً كل ساعة . . ».

وهذا اعتراف صريح جداً بالتفكير المرحلي الذي يؤمن به الماركسيون العرب، الذين يعلنون - دون خجل - عن تصالح بين الماركسية والإسلام. إننا نعتقد أن حديثهم عن الإسلام مرحلياً - وهو نادر أيضاً - إنما يأتي لذر الرماد في العيون فقط. وقد سلك بعضهم الأستاذ العقاد - رحمه الله - في سلك الرجعية (!!) منذ بدأ يتجه للكتابة الإسلامية واتهمه بعضهم بالذيلية (!) لهيمنته على «الإخوان المسلمين، وقت كان السعديون ومعسكرات السراي يستخدمونهم كقوة فاشية لتحطيم الوفد،

ولم يبدأ الهجوم على أسلوبهم الإرهابي - كفكر ديمقراطي (كذا) - إلا عندما انقلبوا على السعديين عام 1948 . وهذا ما يؤكد أن ارتباطه بالسعديين لم يكن إيماناً بمبادئ سياسية - بصرف النظر عن صحتها أو خطئها - وإنما كان تعيشاً وارتزاقاً» .

إلى هذا الحد بلغت وقاحة الماركسيين في وصف الرجل الذي انعطف نحو الإسلام، وقدم للمكتبة الإسلامية أعمالاً رائعة عن قادة الإسلام والفكر الإسلامي، فأي سماحة يمكن للمسلم أن يجدها في ساحة الماركسيين والماركسية؟

إن الشواهد والأدلة والحوادث التي تتلاحق على المستوى السياسي والفكري بين دولة مثل الاتحاد السوفييتي، ودولة مثل مصر، لتؤكد سوء النية التي يكنها الماركسيون العالميون، وأذنابهم في الداخل، للإسلام والمسلمين، وتقطع الشك باليقين أن محاولات البعض لعقد زواج بين الماركسية والإسلام، إنما هي محاولات محكوم عليها بالفشل الذريع؛ لأنه زواج باطل ولا يستقيم .

** ** **

الطريق إلى البعث الإسلامي

كما يراه داعية معاصر

يقول الأستاذ وحيد الدين خان، الداعية الإسلامي المعروف، عن الحال التي وصل إليها المسلمون في أيامنا :

«المسلمون مغلوبون على أمرهم في كل مكان، وهم ضحايا الاستغلال في كل بلد.

ما الذي انتهى بالمسلمين إلى هذه الحالة المؤلمة؟ وهم الذين يملكون ألمع ماض حضاري، ويشكلون الآن ثاني أغلبية دينية في العالم؟

إن ألسنتنا مشغولة بتوجيه التهم إلى الآخرين.

فالمسلمون الهنود يلعنون الأغلبية الهندوسية، والعالم العربي يكيل اللعنات لليهود، والمسلمون الأفارقة يوجهون التهم إلى المسيحيين.

ولكن السؤال الملح هنا: لم حدث هذا؟ لقد حكم المسلمون العالم أكثر من ألف سنة، فكيف وصل بهم الأمر إلى هذا الهوان الذي يعيشونه في عالم اليوم؟

إن الحقيقة الكبرى في كارثتنا هي أن ضعف المسلمين هو المسئول عن فشلهم وسقوطهم.

ويستمر الأستاذ وحيد الدين خان في تشخيص واقع الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي وطريقة الخلاص منها قائلاً: «إن استمرارنا في العويل والبكاء يعني أننا بصدد تضييع الفرصة الأخيرة - أيضاً - التي منحتنا إياها طبيعة العصر الحديث» ثم يقول: «لن يبدل شيئاً من بؤسنا وقدرنا إلا شيء واحد، وهو أن

نعمل لتقوية أنفسنا، فنحن ضعفاء، بحق، أمام الآخرين، ولذلك نحن مغلوبون»!

وهذه المأساة التي يعيشها العالم الإسلامي في كل مكان تقريباً. تثير فينا كثيراً من الألم والحزن يظهران في كثير من كلمات الدعاة والمصلحين والقادة المسلمين. وللأسف فإن هذه المأساة لم تأخذ حتى الآن طريقها السليم نحو الانفراج والعلاج. وما زال العالم الإسلامي حتى اليوم يعيش المرحلة الدفاعية التي تستنزف كثيراً من موارده وقوته ودمه. ومازال يواجه محناً عديدة، ما تكاد تنتهي واحدة إلا وتتولد عنها محنتان أو أكثر. . وكأن الله أراد أن يعاقب المسلمين بإمالهم فسلط بعضهم على بعض. أو سلط عليهم شرار خلقه من اليهود والصليبيين والماركسيين! فما كاد العالم الإسلامي يلتقط أنفاسه بعد حرب رمضان، حتى اشتعلت حرب لبنان لتدفن عشرات الألوف من المسلمين الضعفاء وتخرب بيوتهم وتهدم حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية. وبعيداً عن لبنان، فإن ملايين المسلمين على رقعة الكرة الأرضية مازالوا يعانون ويتعذبون ويعيشون التعاسة والقهر. ولننظر إلى مسلمي الفلبين وتايلاند والهند والتركستان ونيجيريا وزنزبار وأريتريا وألبانيا. . إن هؤلاء المسلمين يعيشون اليوم المأساة كأعمق ما تكون، والعالم العربي يئن من إسرائيل التي تعيش داخله كشوكة حامية تدميه وخزاً أينما تحركت. وأكثر من نصف ميزانية بعض

الدول الإسلامية مازالت تخصص للأعباء العسكرية وحدها! .

وفي كتابه «الإسلام والعصر الحديث»[1] يضع الأستاذ «وحيد الدين خان» أسس العمل من أجل تجاوز المحنة، وانتقال العالم الإسلامي من حالته الراهنة حيث الهزيمة والهوان، إلى مرحلة الانتصار والتفوق، وهي أسس معقولة ومقبولة، وتتفق مع طبيعة الفطرة الإنسانية. وخط الرسالة الإسلامية فلا أحد يماري في كون كثير من الحركات الإسلامية الهادفة إلى التغيير والانفلات من إسار الهزيمة، قد أصابها انتكاس شنيع، لأسباب عدة، بعضها راجع إلى طبيعة هذه الحركات، أو إلى حقائق الواقع المعاش. . فقد عاشت هذه الحركات بمنطق الانفعال ورد الفعل، وكلاهما تولدت نتائج عكسية ضد الإسلام، والمسلمين، كما أن هذه الحركات دفعها الإخلاص إلى دخول معارك انتحارية، أكبر من طاقتها، وكانت النتائج كثيراً من الدماء والشهداء والضحايا. إن العصر الذي نعيشه قد طرأت عليه تغيرات كثيرة، لم يضعها القائمون على هذه الحركات في أذهانهم، مما أفقد حركاتهم القوة والانطلاق، وكان من جراء ذلك كله خسارة فادحة في الرجال الممتازين والكفاءات الجيدة التي كان يمكن أن تعطي الشيء الكثير في خدمة العقل الإسلامي وازدهاره.

---

(1) صدر عن المختار الإسلامي، القاهرة 1976

والطريق إلى تجاوز الانفعال ورد الفعل والانتحار هو استخدام العقل مع القوة المتاحة لنشر الدين، وتكوين المجتمع الإسلامي الطليعي الذي يصبح أنموذجاً يحتذى.

إن هناك قضايا عديدة وملحة تدور حول موضوع «الدعوة» وأسلم الطرق ليكون الدعاة ذوي أثر إيجابي وفعال. والبعث الإسلامي يقتضي منا أن ننظر جيداً في تاريخ الدعوة الإسلامية لنأخذ منه العبرة، ونهتدي بما فعله الرسول الأعظم ص لنهيئ المناخ الملائم للتقدم الحثيث نحو بناء المجتمع الإسلامي الجديد، إن كل الظروف المحلية للمجتمعات الإسلامية الراهنة، تتشابه إلى حد كبير مع المجتمع الجاهلي الذي بدأ فيه الرسول ص دعوته. لقد قبل الرسول أن يعقد هدنة مع المشركين في الحديبية، ومع اليهود، بعد هجرته إلى المدينة المنورة وأتاح للمشركين واليهود حرية النشاط الاقتصادي، وهو أساس هام في حياة الفريقين وقد استطاعت «اليابان» في العصر الحديث تحت مظلة الحماية الأمريكية، وبعد خروجها من الحرب الثانية محطمة منهارة، أن تبني نفسها حضارياً في كافة النواحي، ثم استطاعت بعدئذ أن تفاوض الأميركان من مركز القوة بحيث فوجئ العالم وأميركا ترحل عن «أوكيناوا» وتترك قاعدتها العسكرية دون قتال يستنزف القوة العسكرية والجهد الحربي. وأصبحت القوة الاقتصادية والحضارية لليابان هي السلاح الذي أرغم الأمريكان على قبول الجلاء، ومن قبل صاح الأمريكيون

في وجه اليابان من خلال صحافتهم : «كيف نواجه الحملة اليابانية التجارية؟» .

لقد استنزف المسلمون كثيراً من الجهد والدم والمال والوقت في سبيل هدف واحد وضعوه نصب أعينهم ، ، واعتقدوا أنه الطريق الأمثل للخلاص ولبناء الحضارة الإسلامية من جديد وهو جلاء المستعمر الأجنبي عن كل البلاد الإسلامية . وقد تحقق للدول الإسلامية هذا الهدف ، ولكنها حتى الآن مازالت تعيش في نفس الدائرة المفرغة ، ومازال للدول الغربية (الشيوعية والرأسمالية) نفوذها الجبار داخل العالم الإسلامي :

«إن واقع الدول الإسلامية لم يتغير ، رغم كل التغيرات ، فنحن رغم انتزاعنا الحرية ، لم نتمتع بها في حقيقة الأمر ، والغرب شرقيه وغربيه ، لا يزال يحتوي دولنا الإسلامية بفضل علمه وصناعته المتفوقة ، وهو يفعل ما يريد ، لدرجة إبقاء حكوماتها أو تغييرها ، إن اقتضت مخططاته ذلك وأمامنا كمثل واضح ، ما فعله مسلمو الهند حين تخلصوا من الاستعمار الانجليزي بعد تضحيات هائلة ؛ وجدوا أنفسهم تحت سيطرة الأغلبية الهندوسية في ظل النظام الجمهوري الحر» .

إن الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه «الإسلام والعصر الحديث» يرصد تصوره لطريق بعث المسلمين في القرن العشرين . ويرى أن البدء بالثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية

ضرورة لا مفر منها. وينبغي أن تهيأ الأذهان لتعيش في المجتمع الإسلامي عن رغبة وطيب خاطر، وليس صدى خارجياً، حتى إذا تمت إقامة هذا المجتمع كان الداعون إليه أول المساهمين في هدمه.

لقد استولى الشيخ سيد أحمد الشهيد البريلوي (1776 - 1831) على إقليم الحدود في الهند، وأقام فيها حكومة شرعية، ولكن رؤوساء القبائل الذين ساعدوه في إقامة هذه الحكومة ثاروا وقضوا على حكومته خلال شهور. «وليس السبب في ذلك خطة شريرة لأعداء الإسلام، كما نحب أن نعزو كل فشل لنا، بل السبب البسيط هو أن الشيخ سيد أحمد كان قد حوّل رجال القبائل إلى مريديه وأتباعه، ولم يفجر فيهم ثورة فكرية لتهيئتهم بقبول حكومة إسلامية على أنقاض تقاليدهم القبلية».

وقد تكرر هذا الخطأ في الباكستان أيضاً، حيث اعتقدت الجماعة الإسلامية أن العقبة في وجه إنشاء النظام الإسلامي ليست إلا حكومة - المشير أيوب خان - فاشتركت الجماعة في الجبهة المتحدة، وأحدثت ضجة كبيرة لدرجة أن أيوب خان ترك الحكم سنة 1969، ولكن حين أجريت الانتخابات الجديدة لم يصوت الشعب الإسلامي بل صوت أحد سكان الجناحين للعلمانيين بينما اقترع سكان الجناح الآخر للاشتراكية. وهذه أيضاً لم تكن مؤامرة من أحد الأفراد أو

الجماعات ولكن السبب في ذلك أن الوقت لم يكن قد حان بعد لاستخراج النظام الإسلامي من صناديق الاقتراع».

إننا ينبغي أن نأخذ العبرة من قضية الاشتراكية وطريقة انتشارها الهائل منذ بدأت من قرن ونصف قرن. لقد أسهم أصحاب النظرية بالجهود المنظمة والطويلة المدى في سبيل نشرها منذ بدأت كمصطلح وانتهت بإقامة أول حكومة في الاتحاد السوفياتي، ثم أصبحت نظاماً لكثر من الدول في شرق أوربا والصين ودولاً أخرى.. ومن المؤسف أن تركيا بدأت نهضتها «الأتاتوركية» مع روسيا. ولكن روسيا تطلق اليوم الصواريخ والسفن في الفضاء. بينما لا تزال تركيا مخزناً للبضائع الغربية! لقد كان حكام تركيا يصلبون مواطنيهم لإجبارهم على لبس البرنيطة، بينما كانت روسيا مشغولة بترجمة الكتب العلمية.

إنه يجب أن نتذكر دائماً ما قاله أحد المؤرخين: (إن التاريخ هو قبول الاختيار الآخر.. الاختيار المتاح) والاختيار المتاح هو السبيل للكفاح المتعقل والتخطيط البعيد المدى الذي لا يتجاهل قانون الأسباب والعلل والمحظور الأكبر أن نتعجل رؤية ثمار جهودنا قبل نضوج الموقف، ولنا في رسول الله ص أسوة حسنة. فقد آثر أن يربي مجموعة آمنة بدلاً من الإعلان عن قيام حكومة إسلامية منذ الوهلة الأولى؛ لأن هناك تعقيدات في كل

الأمور ولا يمكن حلها بالعمل المتحمس فقط، بل بالتخطيط والعمل المتواصل».

إن لدينا - نحن المسلمين - إمكانات هائلة ومدهشة للحوار مع العالم الغربي، بل وغزوه فقد وصل فيضان النهضة المادية إلى آخر ماده، ومع ذلك لم يتحقق للإنسان الغربي السكينة والطمأنينة النفسية، وهذه فرصة ذهبية لحاملي دين الفطرة لإرواء عطش العالم ولإظهار دين الله، ونحن نتمتع اليوم بأضخم وسائل الإعلام والاتصال، وإفراغ الشحنة التدميرية والتسلطية التي تلعب بأفكار العقل الغربي وسوف نفشل لو حاولنا أن نغزو العالم عن طريق المصانع الضخمة والجامعات والطائرات لأن العالم الغربي في تطور مستمر منذ أربعة قرون، وعندما نصل إلى مستواه سيكون قد وصل إلى ما يسمى «بالعصر فوق الصناعي».

وأقرب الطرق لظهور المسلمين في هذا العالم يمر بالدعوة وتبليغ كلمة الله «إنه الطريق الذي لن تحتاج فيه لفتح جبروت فارس والروم، بل كل أدوات الجبروت ستسلم أمرها لله طواعية».

إن العالم الإسلامي يضم مجموعة كبيرة من مثقفيه عاشوا في الغرب وتشبعوا بأفكاره، فصاروا متغربين، وتشبعوا بتصوراته فابتعدوا عن التصور الإسلامي، وهذا التصور الغربي مخالف في طبيعته للتصور الإسلامي الذي ينظر للإنسان ككل،

ويتعامل معه على أساس من الوحي والفطرة، الإيمان الخالص (بالأول)، والاعتبار الكامل (للثاني)، ومن هذا المنطلق، فإن التسليم الكامل لله، والخضوع التام للإرادة الإلهية ومنطقها، والعمل بالنهج القرآني هو السبيل لمعالجة قضايا الإنسان عامة، والإنسان المسلم المغلوب خاصة.

وحين يأتي هؤلاء المتغربون بتصورات غربية ومتناقضة مع الفكر الإسلامي، فإنه يتوجب علينا أن ندحض هذه التصورات ونناقشها مناقشة جادة، لكي نؤمن الجبهة الإسلامية من الداخل، ونقنع الطرف الآخر بخطأ موقفه. لقد ناقش الأستاذ «وحيد الدين خان» كثيراً من القضايا التي أثرها المتغربون مثل: الارتقاء الطبيعي، وحق مناقشة الظواهر الطبيعية والحقائق العلمية في القرآن، وقضية ولادة المسيح بدون أب، والسموات السبع، وما يسمى بجحود الشريعة، وتطور القانون، وقصة ادم، والجنة في الماضي والمستقبل.. إلخ. وكان في مناقشة لهذه القضايا موضوعياً وعلمياً أنصف الإسلام والعلم. فالإسلام دين الفطرة ودين العلم أيضاً، وأول ما نزل فيه ﴿ اقرأ ﴾ و ﴿علّم بالقلم﴾. وليت الدعاة المسلمون ينهجون هذا النهج العلمي في مواجهة الحملات التي يشنها المتغربون ومحرضوهم، فإن الظواهر المعاصرة في مجالات الفكر والحضارة لابد أن تثير فينا ضرورة اعتبارها عند التناول وعدم تجاهلها. والبعث الإسلامي كضرورة إذا أردنا أن نحيا بمعنى

الحياة: يحتم أن نستجيب لحقائق الواقع من حولنا، ونتعامل معها على هذا الأساس. ونحن لا نملك في كل الأحوال سوى كلمة الله نغزو بها الدنيا ونفتح بها الآفاق على أساس العلم والقوة.

« إننا نستحق نصرة الله بسبب كفاحنا العام لأجل الدين، ونصرة الله هي التي تفتح لنا السبيل داخل أحلك الظروف القاسية، وباستغلال هذه السبل ينتهي أهل الإيمان إلى الهدف».

أيها الأخوة، إن كل ما أريد أن أقوله لكم في كلمة واحدة، هو أنكم أمل الله، وأنكم سوف تحققون أمل الله.

إن ثمرة المانجو عندما تتدلى من غصن شجرتها، فإنها تكون أمل الله في إسعاد العالم بالطعم الحلو، والوردة تأتي إلى العالم بأمل الله في أن يستمتع الناس برائحتها الجميلة. إن الطائر الجميل يكون أمل الله في أن يبعث السرور لدى سامعي زقزقته. وهكذا أنتم أمل الله، لقد عقد خالقكم بكم الأمل: وهو أن تصبحوا مندوبي دينه، تنشرونه في كل ركن من أركان المعمورة، حتى لا يحرم أحد من الهداية.

«إن الكلمات النفيسة التي تهز كيان الإنسان تصل إلى حيث لا يصل العلم والمنطق، إنها تقلب القلوب وتسخر الشخصيات، وتغير الوجود الإنساني كله».

وبعد . . .

يبقى أن نقول إن «وحيد الدين خان» يقترح إنشاء مركز إسلامي مجهز بالدعاة ووسائل الإعلام القوية التي تعيش جواً إسلامياً خالصاً، يخطط للدعوة ويقوم بها على المدى الطويل لتثمر الثمرة المرجوة في خدمة الدين. وإذا كنا نعلن تعاطفنا إلى أقصى الحدود مع هذا الاقتراح فإننا ندعو المسئولين في كل أنحاء العالم الإسلامي إلى تنفيذ هذا الاقتراح وتحقيقه بالدعم والجدية والحيوية، ونطلب من المهتمين بشئون الدعوة أن يقيموا حواراً خلاقاً حول هذا الاقتراح. فإن هؤلاء الدعاة المثقفين الذين ننتظرهم سوف يساعدون الأمة الإسلامية على تخطي كثير من الصعاب والعقبات بما يحقق القدرة على إنجاز البعث الإسلامي إن شاء الله.

وقد آثرت في هذا المقال أن أعرض لما قاله «وحيدالدين خان» مستخدماً ألفاظ المترجم ذاتها في الفقرات الطويلة التي أقتبسها هنا لأحقق أكبر قدر من الدقة في تناول أفكار المؤلف، وبالمناسبة مرة ثانية نشكر المترجم ظفر الإسلام خان، ودار «المختار الإسلامي» بالقاهرة على إصرارها الدءوب على مواصلة نشر كتابات الداعية الإسلامي في الهند «وحيد الدين خان» ثم نرفع أيدينا بالدعاء إلى الله أن يوفقه وأمثاله إلى مزيد من الازدهار لخدمة الإسلام والمسلمين.

❊❊ ❊❊ ❊❊

في ذكرى حرب رمضان:

نظرة الماديين، ونظرة الإسلام

عقب الحرب المجيدة في رمضان 1393هـ، انطلقت أصوات الحاقدين على العروبة والإسلام من الماديين والشعوبيين تقول: بأن هذه الحرب كانت انتصاراً للسلاح الروسي، والجنود من المؤهلات العليا، والقطاع العام، وقبل الحرب كانوا يقولون: بأن أحداً في العالم العربي لن يستطيع لقاء إسرائيل في ميدان القتال، وأن من تسول له نفسه بالإقدام على تلك المغامرة - في نظرهم - سوف يفتح الأبواب الواسعة أمام إسرائيل لتدخل كل العواصم العربية وتحقق سيطرتها الكاملة على مقدرات المنطقة، ومبررهم في ذلك أن إسرائيل تملك التفوق التكنولوجي والإعداد العلمي السليم، وفي مقابل ذلك شعوب عربية متخلفة وجاهلة، ولا تملك من وسائل العلم والتكنولوجيا شيئاً ذا بال، وبالتالي فهي - في نظرهم - مهزومة لا محالة! بل إن بعض هؤلاء الماديين والشعوبيين ذهب إلى أبعد من ذلك حين رأى في العرب شعباً يعيش على الخرافات والغيبيات - يقصد بذلك الدين وإن لم يذكره صراحة!.

ونحن حين نذكر آراءهم قبل الحرب وبعدها، فإننا نتبين بداية تهافت تفكيرهم وضحالة رؤيتهم ولنقارن بين من يرى استحالة الحرب قبل بدئها، ثم يرى أن الانتصار فيها سببه أو أسبابه عوامل مادية بحتة. فهو إما قد تجاهل وجود هذه العوامل عمداً، وإما أنه كان محجوباً عنها أو كانت محجوبة عنه، وفي كلا الأمرين فنظرته خاطئة أو غير واعية على أقل تقدير!

والواقع أن الماديين والشعوبيين لا ينظرون إلى قضايانا نظرة علمية تعتمد الموضوعية والفكر السليم، بل إنهم يعللون الأشياء وفق أهواء وأغراض خاصة تدخل في دائرة بعيدة عن مصلحة الوطن والأمة والعقيدة.

لقد طار صوابهم يوم قررت مصر طرد الخبراء السوفيات، وأعلنوا ساعتها أن مصر لن تدخل المعركة ولا يمكنها أن تفعل بدون الدولة السوفياتية وخبرائها وأسلحتها! وكان تصورهم يهدف إلى إبقاء النفوذ الشيوعي مسيطراً على مقدرات المصريين ويمتد إلى بقية الأمة العربية والعالم الإسلامي.. ووفقاً للأيدلوجية الماركسية، فإن عملية العبور من ضفة القناة الغربية إلى الضفة الشرقية أمر صعب يقترب من الاستحالة، أو هو الاستحالة بعينها. وأفضل السبل في رأيهم هو الانتقال بالطائرات الهليوكبتر من الضفة الغربية (المشاة المحمولة) إلى الضفة الشرقية، حيث يقاتل الجنود في معركة

متلاحمة لا يعلم نتائجها إلا الله . وكان الواقع آنئذ يقول إن أكثر من نصف الطائرات الهليوكبتر المصرية قد علاها الصدأ في (الهناجر) منتظرة أن يجود عليها الاتحاد السوفياتي بصندوق متوسط الحجم من قطع الغيار اللازمة حتى تعمل وتسير وتتمكن من حمل الجنود! ولكن (العباقرة) الموالين للاتحاد السوفياتي أرجعوا الفضل بعد المعركة إلى السلاح الروسي المتفوق!

وقصة السلاح لا يمكن أن تنفصل عن قصة الجندي الذي يحمل هذا السلاح، وهذا الجندي هو الذي شبع زراية وسخرية من أقطاب الماركسية في العالم العربي حيث اتهموه بالجهل والتخلف والعيش في عالم الخرافة . والسلاح الروسي - يشهد بذلك المتخصصون في العالم كله - أقل كفاءة من السلاح الغربي والأميركي، وكل يوم تطالعنا التقارير الدولية بالمقارانات بين أنواع الأسلحة المختلفة لدى الغرب والشرق على السواء . فالقضية إذن ليست قضية السلاح، وإنما هي قضية الإنسان الذي يحارب بذلك السلاح ومدى استخدامه له، وقبل ذلك لأي سبب ومن أي منطلق يستخدمه . ونحن نعتقد أن الجندي العربي المسلم الذي قاتل ببسالة وشجاعة منقطعة النظير في حرب رمضان، لو أتيح له السلاح الذي أعطى لعدوه اليهودي، لتغيرت النتائج وعاشت العروبة في واقع جديد تماماً يمتلئ بالبهجة والسعادة، ويخلو من إسرائيل وصانعي الفتن الشعوبية .

لقد عاش الإنسان العربي قبل حرب رمضان وحرب حزيران، مهزوماً من الداخل قبل أن تهزمه إسرائيل في سيناء أو الضفة الغربية أو الجولان. لقد دمرت كرامته وانتهكت حريته ومزقت روحه بأيدي أذيال الماركسية في العالم العربي.. وقد رأينا دين الله والدعاة إليه يحاربون ويعتقلون ويعلقون على أعواد المشانق، لا لشيء إلا لأنهم ﴿قالوا ربنا اللَّه﴾ ولم يتراضخوا أمام القهر والعسف والإرهاب. وقد تحولت بلدان عربية إلى ساحة للنضال الماركسي والمادي ضد كل ما هو قيم ومضيء في حياة الإسلام والمسلمين، واستبدلت البيانات المنمقة بكتاب الله وسنة رسوله، وصارت تدرس كمقررات يمتحن فيها التلاميذ، وتجري عليها المسابقات وترصد لها الجوائز! وتلك البيانات الوضعية جعلت من الأخوة في الوطن الواحد أعداء يتقاتلون ويتراشقون بالتهم المفزعة والجرائم الرهيبة.. وأصبح الناس لا يستغربون سماع كلمات: الخيانة والعمالة والرجعية والسلفية والشوفينية... إلخ.

إن سيطرة الخوف على حياة الناس شلت إرادتهم، وجعلتهم يعيشون في معتقل كبير خلا من السماحة والعفة والإنسانية، ولا عجب أن نسمع الآن عن المآسي والفظائع التي تقشعر لها الأبدان وقد مارسها الإرهابيون وملوك التعذيب ضد مواطنين أبرياء لا ناقة لهم ولا جمل، دخلوا السجون في زمن القهر، فأهدرت آدميتهم وسحقت كرامتهم!

إننا لن نستطرد في قصة الأمس الأسود الذي كانت الهزيمة العسكرية فيه أمراً منطقياً وطبيعياً، حيث يصبح الإنسان أو المقاتل بالذات بلا قضية يدافع عنها ولا عقيدة يجاهد من أجلها ولا هدف يسعى إليه، بل هو دابة في طابور يساق إلى حيث الموت والجحيم والهزيمة المؤكدة.

إن الجندي الذي قاتل في حرب رمضان كان يملك شيئاً من الحرية، وليس كل الحرية، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد، ورغم أنه لم يكن في سواده الأعظم من المؤهلات العليا، حيث كانت هذه المؤهلات العليا تشكل نسبة محدودة إلى جانب المؤهلات المتوسطة والأقل منها والأميين، فإن شيئاً آخر، خفي على الماديين وأشباههم، وكان هو الدافع والمحرك وراء مواجهة الموت، وتحدي الصلافة اليهودية، والانطلاق في ساحة الشهادة. . إنه الإيمان الذي عبر عن نفسه بكل قوة ووضوح في هتاف الجمهرة المحاربة العابرة من ضفة الهزيمة إلى ضفة النصر . . إنه هتاف «الله أكبر» . . الله أكبر هزت القلاع الحصينة ودكت الحصون المنيعة وألقت الروع في قلوب يهود، لقد انطلق هذا الهتاف فطرياً وتلقائياً ودون إملاء من أحد. فالمجاهدون اهتدوا إلى الله بيقينهم الذي غاب طويلاً أمام مطارق القهر والهوان، وعاد في لحظة التحرر من كابوس المذلة الماركسية والمادية الذي جثم طويلاً على صدر الإسلام والمسلمين.

إننا كمسلمين لا نقلل من قدر العلم ولا من أهمية السلاح ولا من ضرورة التخطيط والمعرفة المنظمة. فقد أمرنا أن نتعلم ونخطط ونستعد دائماً ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]. ولكن ينبغي أن نكون أولاً على مستوى الإسلام والعقيدة، فلا يكفي أن تكون لدينا القوة والسلاح[2] والمعرفة، ونحن لا نملك اليقين ولا نعيش في جو الحرية والسماحة، ولا نحيا بقيم التعاون والتكافل والمرحمة. ونحن نعلم - كما يعلم الماديين - أن العبيد لا يحررون عبيداً، فالإنسان الحر الذي يملك إرادته الممنوحة له من الله، هو الذي يستطيع أن يحمل السلاح ويقاتل دفاعاً عن عقيدة يؤمن بها ووطن يحبه، وقيم يهفو إلى تحقيقها وإبرازها.

إن حرب رمضان أثبتت سقوط النظرة المادية بأسبابها - أي الحرب - ونتائجها. فقد ظهر بخلاف ما يتوقعون، ذلك التجاوب الكبير بين أرجاء المسلمين على امتداد العالم كله، وتجاوز التجاوب والتأييد تلك المنطقة العربية التي نعيش بداخلها إلى أكثر من أربعين دولة إسلامية عاشت بوجدانها

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 60.

(2) قيل أن السلاح لدى المصريين فى حرب رمضان كان أقل بكثير مما كان في أيديهم سنة 1967. ولكن هناك حدثت الهزيمة وهنا - في رمضان - جاءنا انتصار!.

وإمكاناتها لحظات المعركة، ترقباً لنصر وشوقاً للخلاص من الهزيمة. . وقد رأينا ملامح ذلك في اتفاق معظم هذه الدول على قطع البترول، وتقديم الدعم المادي والمعنوي للدول العربية المقاتلة.

إنني مازلت أذكر كيف كان الجنود الإسرائيليون يعلقون على صدورهم، ويحملون في جيوبهم التوراة، ويقبلون سيناء عندما احتلوها في العام السابع والستين اعتقاداً منهم بأن هذه من الأرض الموعودة بينما نحن نخجل من ذكر البسملة، وكان من يضمن حديثه شيئاً من آي القرآن، يسلكونه في عداد الرجعيين والمتخلفين و. . .

ولكن الفارق كبير بين الأمس واليوم. . فإن المد الإسلامي أصبح ينمو بمعدل عظيم، وإن كنا نريده أعظم، ففي دين الله أساس حياتنا وآخرتنا، وبه نستطيع أن نبني مجتمعاً كاملاً ومتسقاً وآمناً ومترابطاً، وهذا المجتمع المنتظر والمأمول هو الذي يستطيع أن ينجب المقاتلين الشجعان الذين لا يهزمون أبداً مهما تآمرت عليهم قوى الشر والدمار، ومهما كانت إمكاناتهم ضئيلة وهزيلة. . فالإيمان الواعي يعوض كثيراً من القصور الذي يواجهه المؤمن.

وما أروع الشاعر «محمود حسن إسماعيل» حين عبّر عن تلك الحرب المجيدة في قصيدة بعنوان «موسيقا من الشهداء» قال فيها عن الشهداء:

مـاذا أغنـى والسـمـاء بقـدسـ

ـهـا وبنـورهـا غنت لهـم

والأرض لـمـلـمـت الـعـبـيـر

وضـمـخـتـه بعـاطـر من ذكـرهـم

والله قـــربـهـم ومـــد الـعـــرش

أظـلالا لـرفـــرف خـلـدهـم

وكـــتـــائـــب الأحـــرار شـــددت

في النضـال ضيـاءهـا من دربهـم

وخـطـى الشـعـوب تـصـل إن

لـم تستـرد حيـاتهـا من خطـوهـم

وبـــعـــد ....

فإن حرب رمضان بين نظرة الماديين ونظرة الإسلام لا يستوعبها مثل هذا المقال الموجز، وإنما علينا أن نركز على أبرز العبر المستفادة منها، فقصة الجهاد أمامنا لم تنته فصلاً، وعلينا أن نجد في بناء الإنسان ليسهل الجهاد، والله الموفق . . .

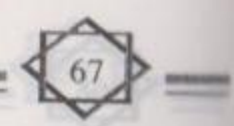
** ** **

بطولات المسلمين في الرواية المعاصرة

1- لحداثة فن الرواية العربية بمفهومها الحديث، فإن هذا الفن ركز على الموضوعات القومية المباشرة التي واكبت مولده، وكانت في مجموعها تعبر عن الصراع بين المسلمين والاستعمار الذي سيطر على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي ونهب خيراتها، وبث فيها سمومه وأفكاره هادفاً إلى سلخ المسلمين عن عقيدتهم وهويتهم وشخصيتهم والانتقال بهم إلى تابعين أذلاء من الخيرات والثروات كما شاء، ولأن هذا الفن يقوم على عنصر الحكاية فقد وجد قاعدة عريضة من المتلقين شغفت به إلى حد كبير، بل وجدت فيه متعة تفوق متعة الشعر الذي تغير كثيراً بعد «شوقي»، وأصبح في معظمه معاني مكرورة، وتقليداً شائهاً، ثم دخلت عليه عملية مسخ شوهته كثيراً خاصة في العقدين الأخيرين.

كانت خريطة الواقع الأدبي إذن توحي بتبادل السيادة بين الشعر والرواية أو الفن القصصي على وجه العموم. ولما كانت عملية اشتداد الصراع مع الاستعمار مواكبة لنشوء الرواية العربية وتطورها فإن الرواية الإسلامية لم تقدم إلى القراء بالصورة المبتغاة...

صحيح أننا رأينا «على أحمد باكثير» يقدم نماذج مشرقة ورائعة للبطولة الإسلامية كما قدمها في روايته الشهيرة



«واسلاماه» وغيرها، و«محمد عبد الحليم عبد الله» يقدم نموذجاً إسلامياً رائعاً وفريداً في روايته «الباحث عن الحقيقة» والتي تصور من خلالها شخصية سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وهو يتمرد على واقعه المجوسي. ويبحث عن الله حتى يصل إلى معرفته وينضم لقافلة الإيمان، والمؤمنين ويصبح من الصفوة الرائدة التي أصبحت مثلاً في اليقين والدفاع عن الإسلام وإعزازه.

وصحيح أيضاً أنه قد تكون هنالك بعض النماذج الأخرى التي تناولت البطولة الإسلامية في شكل مقاومة جماعية للاستعمار الصليبي كما فعل «محمد مصطفى هدارة» في «المنصورة» ويوسف السباعي فيما أعده ليكون فيلماً عن «الناصر صلاح الدين» . . . وكما فعل غيرهما . . .

بيد أن كل هذا لا يعطينا يقيناً بأن البطولة الإسلامية قد استوفت حقها، أو تناولها الروائيون بالصورة المقبولة التي تتفق وجلال التاريخ الإسلامي ونضاله العريق، وعطائه الذي لا ينقطع. وإذا عرفنا أن العالم الإسلامي مازال حتى اليوم يكافح ألواناً شتى من الغزو الضاري والمستمر، فإنه يتعين على كل روائي أو قصصي مسلم أن يركز جهده لبلورة الكفاح الإسلامي وإبرازه، بشكل لائق.

وهنا نود الإشارة إلى بعض ما يقدم من ألوان قصصية يزعم أصحابها أنها تحمل خصائص هذا الجنس الأدبي، ولكنها في الحقيقة لا تعدو أن تكون صياغة لوقائع تاريخية بأسلوب خطابي ممجوج، ترتفع فيه النبرة، ويعلو داخله الهتاف فلا تجد فيه إقناعاً أو إمتاعاً، وأعرف قصصاً وروايات لكتاب غربيين تخدم قضية التبشير، ولكنها ما أعلنت ذلك وما خطبت من أجله ولكنها تسرق وعي القارئ وتشده بطريقة ذكية لا يدركها إلا قارئ واع ومستنير يفهم ألاعيب الاستعمار والمبشرين. وللأسف فإن البعض منا مازالوا يتحركون بالسذاجة والبساطة، ويعتقدون أن هذا دورهم وكفى الله المؤمنين القتال!

إن الحرب الضارية مع الاستعمار، تقتضي منا أن نفهم أساليبه، ونحاربه بها ونقنع أنفسنا بضرورة البذل والعمل الجاد الذي لا يكل ولا يمل حتى يحكم الله بيننا وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين...

2- وإذا قرأنا رواية مثل «ليالي تركستان»[1] عرفنا أن في هذه المنطقة المحصورة بين الصين وروسيا والهند قوماً مسلمين يعانون ويكافحون، وأن أعداء الله والإسلام حولوها إلى مقاطعة تسمى باسم «سينكيانج» وأن الروس يطمعون ويتآمرون كما الصين والهند، وأن أعداء الله في الغرب الصليبي، مثلهم تماماً

(1) نجيب الكيلاني، ليالي تركستان، المختار الإسلامي، القاهرة، ط١٩٧٤.

كالملاحدة والشيوعيين في الشرق. . وأن الخلاص مرهون بيقظة المسلمين واتحادهم وتكاتفهم وإصرارهم على الجهاد المستمر الدائب.

و «ليالي تركستان» إحدى الروايات التي قدمها الروائي الجاد الأستاذ نجيب الكيلاني ضمن روايات ثلاث تناولت كفاح المسلمين في شمال نيجيريا «فتاة الشمال». وفي قلب أندونيسيا «عذراء جاكارتا» وداخل تركستان في «ليالي تركستان». ترى إلى أي مدى يقوم المسلمون بالكفاح ضد القهر، وإلى أي مدى يقدمون بطولات عظيمة ومجيدة لا تمحى من صفحات التاريخ. . . وفي هذا رد على من يرون في المسلمين جثة هامدة لا تستطيع مهما أوتيت من قوة أن تحقق شيئاً أو تتجاوز واقعها أو أنه محكوم عليهم دائماً وأبداً بالقهر والجمود. ما كان المسلمون كذلك أبداً، وإذا ألجأتهم الظروف إلى مثل تلك الحالات فليس ذنب الإسلام أبداً، لأن الإسلام كان ومازال قوة دافعة وحركية لا تتراضخ أمام الطاغوت أو الإرهاب، ولا تقبل بالتخلف والهوان. . . إن الإسلام النقي والمسلمون الأصفياء صنعوا حضارة مجيدة أتاحت للبشرية في الأرض الإسلامية، ربما لأول مرة في تاريخ الإنسان أن تعيش بكرامتها وحريتها. . . بينما كانت أوربا خاضعة للحكم الثيوقراطي والإرهاب الطبقي والتسلط الأكليروسي.

إن مسلمي تركستان الشرقية تعرضوا لحملة من القهر عنيفة وقاسية لا تختلف كثيراً عما حدث لمسلمي فلسطين الذين تمزقوا تحت ضربات يهود وأخرجوا من ديارهم بغير حق، وأوذوا في المنافي كثيراً. . . لقد فعل الغزو الصليبي بالتركستانيين ما لا يتصوره عقل أو يتخيله وعي، لقد تحرك الغزاة بأحقادهم القديمة ومطامعهم المستمرة لاحتواء شعب تركستان وتصفيته تماماً حتى لا يبقى هنالك أثر لأهله. . أرغموا الإناث على التزاوج من الصينيين وأتوا بالصينيين في أعداد كثيرة لتستعمر الوطن التركستاني وتعيش على أشلاء أهله الذاهبين. . أعدموا كل مطالب بحق المسلمين في الحياة الحرة الكريمة وأقاموا المعتقلات الجماعية وهدموها على من بداخلها حتى ذهبوا بلا ثمن ولا أسف واستباحوا كل المقدسات والمحرمات وما عرفوا قيمة للإنسان أو الحياة. . . لقد تسلطوا على التركستان بدافع من الشوفينية البغيضة والتعصب الأعمى والاستعلاء الممقوت ولنقرأ هذا الحوار:

«أتعتقد أن هناك فرقاً بين الصيني والتركستاني؟

- بكل تأكيد

التفت القائد إلى الأمير في دهشة وقال:

- الصيني انتصر. .

قهقه القائد ثم قال:

- هذا أمر معروف نحن ننتصر دائماً . . إنه أمر يمتد في سحيق تاريخنا . .

فرد الأمير قائلاً :

- منذ حرب الأفيون وقبلها . . شحب وجه القائد، ثم استدرك :

- لم يستطع التفوق الاستعماري أن يمحو شخصيتنا . .

وسادت فترة صمت . قال القائد الصيني بعدها :

- يقول العلماء إننا شعب ذو صفات غالية . . .

- كيف؟؟؟

واستدار القائد صوب الأمير ، وأخذ يشرح له باهتمام كيف أن علماء الوراثة قد أثبتوا أن الصيني إذا تزوج أوربية مثلاً ، فإن الأبناء يحملون الصفات الصينية ، وذلك بسبب قوة الجينات «التي توجد في خلايانا . . » .

هكذا يتحرك الغزاة بالمنطق الشوفيني الذي يرى نفسه . . نفسه فقط ، والكل بعده لا يساوون شيئاً ، هو السيد والقوي والحاكم والغالب . . . ويزعم بأن العلم يعطيه كل تلك الحقوق ليتفوق على شعب تركستان وغيره من الشعوب . إنها النزعة الإجرامية التي تستحل ما ليس لها وتعتدي على شعب أعزل آمن بالقهر والإرهاب !

ولكن شعب تركستان لم يستسلم أبداً، وأعتقد أنه لن يستسلم رغم المحنة التي يعيش فيها الآن. لقد هب الشعب جميعاً في «قومول» و«أورومجي» و«ايلي» و«تشوشك» و«التاي». . . كل مقاطعة من هذه قامت بدورها خير قيام. . لم يتخلف أحد، بل قام الشرفاء بدورهم المجيد، وتحملوا القتل والتشريد والنفي والعذاب والغربة، وكل حرص القادة، والمسلمين أن يتمسكوا بحبل الله المتين وأن تظل عروة الله الوثقى هي الرباط المقدس الذي لا ينفصم. . . لقد قاموا بدور مجيد شهد انتصاراً وهزائم وتضحيات ومغانم، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وسوف ندرك ذلك جيداً حين نرى بطل القصة الرئيسي يتذكر ما قيل له في الزمن الغابر عن سر هزيمة المسلمين:

« يا بني إن الإسلام هو العزة، فمن تمسك به عز، ومن تركه ذل، وبلادنا استسلمت لنوم عميق، وغلبت عليها الدعة والاسترخاء والعبث، وأخذ الناس ينسلون عن الدين عروة. . عروة، يا بني لقد طغى الغني وضاعت الحكمة، ورضخ العلماء للأفراد، وعم الفساد والفقر والجهل، وانتشرت المعاصي . . يا بني هذا هو بداية الانهيار».

« إن في الشرق أعداء، وفي الغرب أعداء، وهم يعتصمون بالقوة والكثرة، ونحن نعتصم بأمجاد قديمة والأمجاد القديمة لا تصمد وحدها . . ».

« يا بنى المسلمون ممزقون، تركيا تنهكها الحروب والمظالم، والعرب تحت سنابك خيل العدو صامتون، والكفر ملة واحدة، والمسلمون ملل عدة، وبذلك تستطيع أن تفسر لماذا يكون النصر، ولماذا تكون الهزيمة . . » .

ورغم مباشرة هذه الأفكار فى الرواية، فإننا ندرك مدى وعى البطل بأسباب الهزيمة والنصر فى الماضى والحاضر المستقبل . . إنه داعية إيجابى يدلل على معاناة قاسية يستشعرها المسلم المعاصر تحت ضربات الغرباء وطعنات الأقوياء . . .

إن العدو فى إحدى مراحل النضال التركستانى، وبعد أن ثبت له فشله الذريع أمام وحدة الصف الإسلامى استخدم مجموعات من التركستانيين أنفسهم وغرر بهم واستغل نقاط ضعف لديهم وجعلهم يحاربون إخوانهم من المجاهدين الشرفاء . ودفعهم لمحاصرتهم وملاحقتهم وأمن بذلك أن يحقق مداً كبيراً حتى تمت له السيطرة على تركستان وتصفية الوجود الإسلامى المقاوم والمجاهد . . لقد سادت الفوضى، وشعر المسلم بالغربة، وأصبحت تركستان لعبة بين الأقوياء . .

. . . اختلط الحابل بالنابل، وسادت البلاد فوضى من نوع غريب، المصاحف وتفاسير القرآن، وكتب الحديث وخاصة كتاب الإمام البخارى جدنا الكبير العظيم وغيرها من كتب الفقه والتوحيد، كثير منها ممزق وملقى فى الشوارع، والجنود

يشعلون فيها النار ليستدفئوا من شدة البرد . .

لم يقتصر الأمر على هذا، بل تجاوزه إلى ما هو أسوأ، بعد أن هرب المسلمون من بلادهم وأصبح المسلم الذى يعيش فى بلاده مشبوهاً وملاحقاً ومحاصراً وفى ذاته شعور مرير بالغربة والحسرة . .

« أين يذهب؟؟ أنا فى وطنى كالغريب، أرضى ليست لى، أصدقائى يهربونى وزوجتى غرقت فى خضم الأحداث الكبار . . !! لقد أصبحت تركستان المسلمة تعانى، وتحتضر، بعد أن هجرها الأهلون، وفارقوها لم يبق فيها سوى قلة لا حول لها ولا طول، وبعد أن عبرت الأكثرية فى نهاية المطاف إلى أراضى كشمير حيث يأمنون على أنفسهم . . . ومعظم الذين رحلوا إلى هناك كانوا بقايا رجال مع النساء والأطفال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . . .

إن المسلمين لم ينسوا فى خضم تلك المحنة أن تركستان قد أصبحت لعبة بين الأقوياء الطامعين وكم عانوا من المخطط الاستنزافى الذى يضعه الكبار المتربصون على الحدود، والمنتظرون . . على الأبواب لالتهام الفريسة واقتسام الغنيمة وكانت بصيرتهم ترنوا إلى بعيد وهم فى نشوة النصر :

« ها نحن ننتصر ، لكنى خائف . .

قلت فى ثقة :

- لا معنى للخوف، وقد جربنا أن النصر تصنعه سواعدنا . . .

قال منصور ساخراً:

- وما قيمة سواعدنا بدون سلاح . . .

أدركت أنه يعنى معونة السلاح الذى جاء للشيخ على بدر خان، إن منصور يشك، ويخاف على بلدنا الصغير أن يعود إلى اللعبة المحزنة . . لعبة الكرة التى تتداولها أقدام الأقوياء . . .

- إن العالم يتغير يا منصور .

- هز كتفيه قائلاً :

- بل إن المنتصرين امتلئوا غروراً وغطرسة . . .

- سوف يتحول احتلال البلاد إلى شىء آخر . . .

- ماذا تعنى يا مصطفى؟

- أعنى الصداقة هى بديل الاحتلال، ولا مانع من أن نكون أصدقاء للذين ساعدونا . . .

- الصينيون المنهزمون طلبوا الصلح . . .

- لقد رفضناه .

- استدار نحوى وقال :

هل تعلم أن الدولة التى تمدنا بالسلاح ضغطت على رئيس الجمهورية كى يقبل الصلح والمفاوضات؟؟

وهكذا يستمر القلب المفعم بالحزن والتوتر والريبة يشعر بالقلق تجاه هؤلاء الطامعين الذين يقدمون السلاح نظير المكاسب التى يأملونها، والأطماع التى يخفونها بأثواب براقة: الصداقة والسلام والحرية . . .

3- لقد نجح المؤلف فى أن يستعرض البطولة الإسلامية من خلال الكفاح العظيم والجهاد الشريف الذى خاضه الشعب التركستانى المسلم ضد القوى القاهرة . .

وقدم لنا شخصيات تكتمل فيها الصفات الإنسانية، وتشعر معها بالحيوية، وتحس بحركتها واختلاجاتها، لا تشعر إزاءها بغربة رغم إحساسها بالهزيمة والقهر والعذاب - إنها شخصيات تأكل وتشرب وتتزوج وتحب وتكره وتتحمس وتتقزز، وتفرح وتأسى . . فيها كل المواصفات التى تقنعك ببساطتها وعمقها فى آن واحد . .

ويقدم الكاتب شخصية عالم الدين فى صورة زاهية وراقية تخرج عما ألفناه من تصور سيئ ورديء فى القصص والتمثيليات والمسرحيات التى تعرض علينا دائماً فى مصر. إنه يصور «خوجه نياز حاجى» الذى يخطط لأمير قومولى حتى يبدأ الشعب المسلم فى الكفاح ضد الغزاة ويتعمق إحساسه بضرورة الجهاد،

ويخرج بالمسلمين إلى الجبال ليرابطوا ويخططوا وينفذوا عمليات فدائية ويشنون هجمات ضارية وناجحة ضد الفاتحين. إنها شخصية تذكرنا بشخصية العز بن عبد السلام ودوره فى الحرب ضد التتر القادمين من ذات الأنحاء ليفتحوا الشرق الأدنى، ويحولوه إلى خرابة وتلال من النفايات .. ولكن العز بن عبد السلام والخوجه نياز حاجى قاما بذات الدور تقريباً مع الفارق الزمنى والموضوعى أيضاً..

هنالك شخصيات أخرى كثيرة قامت بالجهاد، وضمت كثيراً مثل أمير قومول، وبنته الأميرة الصغيرة والجنرال شريف والجنرال عثمان باتور ومنصور درعاً ونجمة الليل ومصطفى حضرت، محور القصة وراويها بالإضافة إلى شخصيات الغزاة من الصينيين...

وإذا كان الكاتب قد جعل من مصطفى حضرت - كان بمثابة خادم لأمير قومول وأصبح من كبار الثائرين - مع نجمة الليل - كبيرة الوصيفات فى بيت الأمير أيضاً وزوجة مصطفى حضرت.. جعل منهما بطلى الرواية حيث نسج على جانبيهما بقية الأبطال، فإنهما لم يكونا مؤثرين تأثيراً يجعل منهما بطلين فى المحل الأول من البطولة، بالمعنى الروائى، مع تسليمنا بأن شخصية نجمة الليل كانت خصبة وعميقة. ولعله السرد التاريخى الذى أراده الكاتب أو الذى ضغط على الكاتب جعله

يلجأ إلى هذا وذلك لبقاء مصطفى حضرت حياً، حتى نهاية الأحداث المؤلمة لشعب تركستان واستتباب الاحتلال فى أرضها ولكننا إزاء « نجمة الليل » نرى الكاتب يثير حولها كثيراً من الغموض والبلبلة خاصة فى مراحل القصة الأولى. . . وكان الأولى للكاتب أن يجعلها صاحبة مبدأ عميق وأصيل وكان من الممكن أن يتفادى منزلق زواجها من ضابط صينى قبل اقترانها بمصطفى حضرت، فضلاً عما أثير حولها. على لسان منصور درعاً من أقاويل.

4- بيد أن الكاتب بعد هذا قد أفلح فى أن يجعل من قصة الشعب التركستانى المسلم حية وماثلة فى ذهن المتلقى وأذكر أن شقيقى الأصغر حين قرأ تلك القصة. . . بدأ يسأل باهتمام عن شعب تركستان جغرافياً وتاريخاً وديناً وواقعاً وماضياً، ثم متسائلاً عن المستقبل مع شعور بالمرارة والخيبة عميق إزاء لعبة الأقوياء تجاه المسلمين. . المسلمين فقط!

ولأول مرة نرى الكاتب يحرك شخصياته الإسلامية بذكاء فى مواجهة عدوهم، وكنا منذ حين لا نرى المسلم إلا ساذجاً وأبله على أقلام البعض، وها هو اليوم يتحرك بوعى وإتقان وحرص، ورغم القهر فإنه يدرك ببصيرته طريقه ودربه ﴿ ومن لَم يَجعلِ اللَّهُ له نورا فما لَهُ من نُورٍ ﴾[1].

(1) سورة النور، الآية: 40.

الخطأ الذى وقع فيه الكاتب هو من كتابنا المجيدين أنه لم يحدد من الرواية . . . متى؟ إن زمن الرواية مهم جداً، خاصة وأنها رواية أقرب إلى التاريخ ولولا ما كتبه الناشر على الغلاف ما عرفنا أنها حدثت فى المدة الواقعة بين الثلاثينيات إلى الخمسينيات من القرن العشرين!

وسوف نغفر اللهجة المرتفعة فى بعض المواضع وذلك لإحساس الكاتب وإحساسنا معه بقسوة الفجيعة التى حلت بشعب تركستان المسلم وكنا نود أن يتجاوز الكاتب تلك النقطة، وخاصة وأنه قدم لنا قبلاً عدداً من الروايات الطيبة . . .

إننا نريد أن نقدم فناً إسلامياً متكاملاً يحمل القضية ويقدمها فى إطارها الإبداعى المتكامل . . لا مندوحة عن ذلك، فالصراع رهيب والموت ماثل لمن يتخلون عن الجهاد والاستمرار فيه، إنها هويتنا يجب أن تظهر وتتبلور وعلينا أن نواصل العمل الدءوب الذى يبغى وجه الحق تبارك وتعالى دون أن نخجل أو نجامل الآخرين على حسابنا.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (1)

*** *** ***

---

(1) سورة النساء، الآية: 65.

الماركسية والإسلام بلغة العصر

في هذه الآونة، يصبح التعرض لقضية الماركسية والإسلام أمراً ضرورياً وحاسماً، إذ أن الواقع الإسلامي يفرض على كل مسلم داعية أن يشحذ كل ما يملكه من أسلحة لمواجهة الطاغوت الجديد ممثلاً في الماركسية كعقيدة تحاول أن تحل مكان العقيدة الدينية، وتنطلق في كل الاتجاهات سياسياً وعسكرياً وفكرياً لتنتهي بالواقع الإسلامي كله، إلى الارتباط تماماً بحركة الشيوعية الدولية، والتبعية للمعسكر الشرقي الذي يفتح فاه لالتهام كل ما حوله وما تقع عليه عيناه بوسائل خبيثة ومعقدة، لا تقل تعقيداً ولا خبثاً عن وسائل الاستعمار الغربي الحديث . . .

ولقد مضت فترة على المسلمين في مصر وبعض المواقع العربية لم يتمكنوا خلالها من التعرض لهذه النظرية أو تحليلها أمام الجمهرة الإسلامية العريضة، مما كان له أكبر الأثر في افتراس عدد من الشباب المسلم لا يستهان به على يد الأذيال من مروجي الفكر الماركسي ودعاته، وقد ساهم في هذا النجاح المحدود للماركسيين ظروف متعددة أهمها الاستبداد والتسلط والكراهية التي يحملها بعض المسئولين للإسلام، فضلاً عن العمل الدائب والمستمر للقوى التي ترى في الإسلام خطراً يتهددها وينزع مخالبها الجارحة والضارية . . .

ولكي نكون أكثر دقة، فإننا نستطيع القول أن الذين تعرضوا

للماركسية فى مصر بالذات، لم يسمع صوتهم جيداً إما لأنهم أرغموا على الصمت الكامل بعد حد معين أو حالات معينة، وإما لأنهم فشلوا فى عملية التحليل، واعتمدوا على السذاجة والسطحية والانفعال الأعمى فى مواجهتها.

بيد أننا لن نعدم نماذج ممتازة استطاعت أن تستوعب الفكر الماركسى استيعاباً ممتازاً أيضاً، ونجحت فى تحليله ودحضه وكشف زيفه وجذوره الوثنية، القديمة والمعاصرة على السواء، وإن كان التنحى قد فرض على هذه النماذج فترة أو فترات، فإنها تبقى صورة للأصالة الإسلامية فى مواجهة الإرهاب الماركسى - إذ نعتقد أن الإرهاب، هو السمة الأساسية بل هو العقيدة الماركسية ذاتها . . .

وقد عالج الأستاذ العقاد فى كتابه « الشيوعية والإنسانية فى شريعة الإسلام» العقيدة الماركسية اعتماداً على منهجه الخاص والمعروف بالتحليل النفسى، إذ يتناول شخصية مؤسسى المذهب «كارل ماكس» وبعض رفاقه، واستطاع أن يتسلل إلى عمق النفسية التى تحكم سلوك هذا الفيلسوف « كارل ماركوس» وانتهى من خلال أدلة مدعومة بالتاريخ والمنطق أن يثبت أنه لم يكن شخصية سوية أو متزنة بحال من الأحوال. سواء فى تعامله مع أهله الأقربين، أو مع رفاقه والمجتمع من حوله. وقد نتج عن هذا السلوك المنحرف عقيدة منحرفة يصطلى كثير من سكان المعمورة بعذابها حتى الآن.

وإذا كان العقاد قد استطاع بعبقريته الإسلامية أن يهدم أسس النظرية الماركسية والطعن فى منشئها علمياً وموضوعياً، فإن معاصرنا الشهير الدكتورمصطفى محمود، صاحب محاولات التفسير العلمى للقرآن، والحوار مع الملاحدة والدفاع عن الفكر الإسلامى من خلال هذا الحوار وتلك المحاولات، ويخوض الآن صرعاً جديداً مع الماركسيين - خاصة المصريين - حين بدا لهم أن يلفقوا بين الماركسية والإسلام، وأن يجعلوا منهما زوجين متفاهمين ومنجبين أيضاً[1] !

والصراع الجديد الذى يقوده الدكتور مصطفى محمود - بحكم ما هو متاح له من ظهور فى التليفزيون والصحف وتأثير جماهيرى على كثير من القطاعات - يعطيه مدداً عظيماً فى محاورة فلاسفة المادية الماركسية حواراً مسموعاً ومؤثراً بالعمق والعرض والطول. . . مما شجع أعرق دار نشر فى العالم العربى - دار المعارف بمصر - على طبع كميات هائلة من كتابه الأخير - الماركسية والإسلام[2] - وتوزيعه فى شتى أرجاء العالم العربى والإسلامى.

ولعل أبرز حسنات الدكتور مصطفى محمود والذى واصل رحلته من الشك إلى اليقين بإخلاص العالم المتجرد، إنسيابه

(١) انظر: الزواج الباطل بين الماركسية والإسلام، ص35 من هذا الكتيب.
(2) دار المعارف، القاهرة 1975.

التعبيرى ولغته السهلة التى استبعدت التعقيد اللفظى والاصطلاحى والتعبيرى، وانداحت فى سلاسة ويسر لتعبر عن شوق الإنسان المعاصر بعد حيرته وضلاله أمام قوى الشر الرهيبة الممثلة فى الفكر المادى والسلبى والوثنى.

إن أهم القضايا التى تعترض إنسان العصر، ويدور حولها الكثير من الجدل والكلام: هى قضية الحرية وقد اختارها الدكتور مصطفى محمود ليتحدث بلغة العصر، محاولاً أن يراها من وجهات النظر المختلفة الليبرالية الماركسية والإسلامية . . .

الحرية هى نقطة البدء . .

وليست الحرية هى أن نجد ما نأكله، كما يعرّفها بعد ذلك الماديون أصحاب فلسفة المضمون الاجتماعى للحرية، فالحيوان يجد ما يأكله وضمان الطعام لا يكفى ليجعل من الإنسان إنساناً . . فالإنسان حيوان حر يفكر لنفسه، ويقرر لنفسه وقد يختار الجوع فيصوم، ويختار الموت دفاعاً عن قضية فيموت . . . وقد يتطوع فى حرب انتحارية يعلم أنه لن يعود بعدها لأنه قرر أن يقول: لا . .

وفى هذه القدرة أن يقول « لا » للظلم، « لا » للباطل يكمن المعنى الوحيد للحرية فإذا سلبناه هذه الحرية فإننا نسلبه فى الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة لخلاصه . . . فلا فضيلة لمن يطيع القانون خوفاً . .

إن الماركسية تعتمد التلقين لنشر المبادئ والأفكار والأخلاقيات التى تنبع من دافع فلسفتها، والتلقين لا يمكن أن يكون اقتناعاً داخلياً وارتباطاً وجدانياً، والجندى الجبان لا يمكن أن يصبح جندياً شجاعاً بعد برنامج إذاعة . . . وبدون الحرية لا أخلاق ولا إخلاص ولا إتقان ولا إبداع ولا واجب، ويصبح تأجيل الحرية باسم الوصاية على الشعب فى مرحلة انتقال «هو قرار فى الوقت نفسه بتأجيل الصدق والأمانة والشجاعة الضرورية لقيام المجتمع السليم».

والمجتمع الرأسمالى بما يتيحه من حرية غير محدودة يحول الكل إلى عبيد أيضاً، لأنها أى الحرية تجعل من الفرد عبداً لرأس المال الذى يقوده للحرب، والحرب التى تحتاج إلى وقود هو الفرد ذاته . . .

لهذا نرفض الحرية بالمعنى الماركسى، ونرفضها بالمفهوم الرأسمالى لأن الإنسان: فرداً أو مجتمعاً هو الذى سيدفع الثمن وهو الحرية!!

لقد كذبت كل التنبؤات التى بشر بها «كارل ماركس»: منبت الثورة الشيوعية، اتساع الخلاف بين البرجوازية والبروليتساريا ازدياد الاحتكارات، الأزمة الاقتصادية الساحقة للنظام الرأسمالى، شمولية الفكر الماركسى . . .

والنتيجة هى انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه، ورجعيته قياساً إلى ظروف عصرنا. . .

إن التعسف المنهجى فى النظرية الماركسية هو الذى أضعفها سواء فى « المادية التاريخية » (العامل الاقتصادى) والاستدلال ببعض مراحل التاريخ « الإفراز الطبقى ».

والبروليتساريا - شعب الله المختار عند ماركس - لم تعدلها تلك الهالة الأسطورية لقد انقسمت إلى طبقتين هما المؤهلون وغير المؤهلين نتج عنها فئة أرستقراطية وأخرى شعبية من العمال أنفسهم.

وكان من نتيجة أخطاء النظرية والتطبيق أن انصرف عن الماركسية كثير من الأقلام التى كانت تؤيدها، واتخذت موقف النقد والمعارضة أمثال: أندريه جيد وبرتراند راسل واجتياز وسيلونى، و(ريتشارد رايت) الكاتب الزنجى و(آرثر كوستلر) المجرى و(ستيفن سبندر) الانجليزى و(لويس فيشر) الأمريكى و(ريتشارد كروسما). . .

وإذا كان الإسلام لم يحدد منهجاً سياسياً، ولم يرسم (دستوراً) محدداً، فإن ذلك أحد أدلته وقوة إعجازه، وقد أراد الله سبحانه أن يفتح سبيل الاجتهاد والأخذ بالعلوم. . . واستنباط المناهج والأحكام من الظروف المتغيرة دون تكبيل بمنهج جامد محدد.

واكتفى فى موضوع السياسة والحكم بإصدار توصيات عامة لها صفة الأزلية وعدم التغير عبر العصور، وبها يكون الحكم مثالياً وهى:

1- حرية الفرد وكرامته وأمنه ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

2- العدالة الاجتماعية ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[2].

3- الشورى من الحاكم للصفوة من أهل الرأى ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[3] وكل هذا يجعل من الموقف الإسلامى موقفاً إبداعياً انتقائياً وليس ترقيعاً فكرياً، ولا يميناً ولا يساراً، وإنما صراط الاعتدال - الصراط المستقيم، وهو ليس وسطاً حسابياً بين اليمين واليسار، وإنما هو الوسط الجدلى، وهو التركيب الجامع الذى يوفق بين النقيضين ثم يتجاوزهما فى وحدة غنية خصبة جامعة - نعمة الإشباع الروحى.

إن النظرية الماركسية قد نظرت إلى المادة باعتبارها سابقة

(1) سورة المائدة، الآية: 32.
(2) سورة الحشر، الآية: 7.
(3) سورة ق ، الآية: 45.

على العقل ، ولكن هذه النظرة تجريد بحت من أناس يعلنون فى كل مناسبة أنهم ضد التجريد ، ومن منطلق المادة حاولت الماركسية أن تجعل من نفسها فكراً شمولياً يرد على كل تساؤل ، ولكنها أخفقت تماماً ، وبقيت كمنشور للتحريض يحمل لافتة مكذوبة بادعاء العلم والموضوعية لتعبئ بها المثقفين واستخدمت الأسلوب العاطفى لمخاطبة العمال والفلاحين تناديهم بأنهم الطليعة والطبقة المختارة لقيادة التاريخ والشرفاء ورواد المستقبل وأبطال الغد الذين يملكون وحدهم النقاء الثورى ، واعتمدت على أن حافز المصلحة عند هذه الطبقة الفقيرة مضافاً إليه مدد السخط والحقد والحسد سوف يزود هذه الكتل البشرية بطاقة الدفع المطلوبة وتتحول طاقة الحقد الكامنة إلى حرب داخلية صامتة تستنزف الموارد لآخر مليم فى المكائد والرشاوى والسرقات والاختلاسات ، لأن ما فى جيب أحدهم أصبح حلالاً للآخر . يقول « تروتسكى » :

« إن الفرد مهما طاب عيشه يضمر نزوعاً فطرياً إلى الشكوى من ظروفه والطموح إلى ظروف أكثر مواتاة لأحلامه وبين الشكوى والطموح وضع فى نفسه الكثير من كوامن الحقد . . . والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقى » .

إنه اعتراف صريح بالخلفية السوداء للفكر المادى . ويأتى هربرت ماركوز فى أيامنا ليتزعم الثورة الشبابية معلناً ثورته على

البروليتساريا وخيانتهم للفكر الماركسى . . . ويحرض الطلبة والشباب على الثورة والرفض والهدم، ولا يقدم البديل سوى الفوضى الاجتماعية والانطلاق من جميع القيود.

وقبله قام سارتر وفرويد وماركس بنفس الدور الهدام باسم الفكر والبحث والموضوعية. ولكن الخلفية الأكثر سواداً هى سعيهم الدائب والحثيث لإشاعة الغثيان والقرف وتبرير السلوك الحيوانى الشاذ وإشاعة الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع. ولا عجب أن يكون الأربعة (سارتر، فرويد، ماركس، ماركوز) كلهم من اليهود (أصحاب التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون) ومغتصبى أرض القداسة فى فلسطين.

إن طريقنا للمواجهة مع هذه النظريات المستوردة والهدامة هو المزيد من التفتح والوعى والحركة الطليقة لمواكبة العصر، وفهم التراث والإصرار العقائدى على بعث الروح الإسلامية الأصيلة والجادة والآملة لبناء مجد الإسلام من جديد دون هروب أو انعزالية أو سلبية، إن الإسلام عودة بالإنسان إلى الطبيعة السمحة المبسيطة . . . فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللَّه . . يبقى أن يشد كل علماء الإسلام أزر بعضهم فى التصدى الواعى للفكر الهدام ومحاربته حتى تصبح كلمة الله هى العليا، ويعود المسلمون من غربتهم إلى ديارهم الأصلية فى رحاب الإيمان والنور . . .

وتحية للدكتور « مصطفى محمود» فى كفاحة الجاد والمخلص من أجل عزة الإسلام والمسلمين .

وبالله التوفيق والسداد . . .

*** *** ***

خلفاء المعلم يعقوب
يعلنون الحرب من باريس

كان فى مصر كاتب يسمى غالى شكرى . . .

وكان هذا الكاتب يعلن دوماً أنه ماركسى وتقدمى وثورى ومستقبلى وعلمانى ومثقف!

وكان هذا الكاتب تلميذاً مخلصاً لكاتب راحل اسمه «سلامة موسى» ، فضل القبعة رمز أوربا الكاثولويكية على « الطربوش» رمز تركيا الإسلامية!

وكان هذا الكاتب تلميذاً لمستشار صحيفة « الأهرام» فى مصر المسمى « لويس عوض» لدرجة أن اشتهر باسم « حامل الحقيبة» لشدة ملاصقته وانبهاره بالمستشار المذكور!

ويوم اعتقل هذا الكاتب بتهمة الماركسية . . أعلن أنه برىء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب . . وأنه تقدمى فقط!

ويوم دالت دولة « لويس عوض» الأدبية والثقافية ـ بعد أن استمرت عشرين عاماً، يعمد فيها من يشاء من الكتاب والأدباء، ويرمى بالخطيئة من يشاء من الكتاب والأدباء ـ ذهب تلميذه وحامل حقيبته إلى بيروت، واحتفل به « المارون» وأسبغوا عليه العطف والود، ورأوا فيه فيلسوفهم الطليعى القادم من بطن الحوت الرجعى الإمبريالى (مصر) . . لقد رجع إلى ماركسيته فجأة!! وتحت ظلال المارون! ورغم ما فى تاريخ هذا الكاتب من بشاعة التعصب الدينى، وحماقة الحقد المذهبى، وصلافة الفكر الموتور . . فإنه - وفجأة أيضاً - يعلن ابتهاجه بعرس الدم فى لبنان، ويعمل مستشاراً - مثل أستاذه - لمجلة تدعى التقدمية تسمى « الوطن العربى» وتصدر عن باريس! أى تناقض، وأى انفصام، وأى غرابة؟!

ما علينـا . .

الكاتب المسمى بغالى شكرى يتحرك بدافع التعصب والحقد والصلافة ليقول:

إن العرب عاشوا أكثر من عشرة قرون (أى فترة الإسلام) فى موات حضارى! ثم يزرى بالعرب والعروبة والمسلمين، ويرى فيهم صورة للجمود والرجعية ومعاداة التطور، ثم يتصور نفسه مفكراً كبيراً وأديباً عظيماً ورجلاً معدوداً بين رجالات الفكر المعاصر فيعلن على صفحات « الوطن العربى» التى تصدر من

باريس، أن أحد الطلاب العرب فى باريس ينشئ رسالة علمية عن أعماله الأدبية والفكرية! - يا فرحتنا يا فرحتنا - وأن الطالب المسكين يعرف حقائق مغلوطة عن الكاتب الهمام ملخصها أنه ابن أخت سلامة موسى وزوج بنت لويس عوض! وقومى يا قيامة غالى شكرى، واشتمى فى كتّاب مصر الرجعيين والتقدميين الذين لا يتحرون الحقيقة عن شمس الشموس، وبطل البسوس غالى بن شكرى، فينسبونه إلى سلامة موسى ولويس عوض، عمداً ومع سبق الإصرار!!

ويبدو أن هذا الإعلان عن رسالة دكتوراه يحررها طالب ينتمى إلى العرب عن شمس الشموس وبطل البسوس غالى بن شكرى لم يكن هو الهدف الأهم، فهناك هدف آخر أكثر أهمية ويرجع إلى تاريخ غير بعيد.

فقد كان الأستاذ العلامة «محمود محمد شاكر» الكاتب والشاعر والمحقق المعروف، تعرض لأستاذه أو أساتذته المخلصين حين حاولوا تزييف التاريخ، وتحريف الماضى، وتفسير الأحداث على هواهم ورغباتهم الخبيثة.. وكتب ثلاثاً وثلاثين مقالة فى مجلة «الرسالة» خلال عامى 62، 1965 جمعها تحت عنوان «أباطيل وأسمار»! كشف فيها الزيف والتحريف والهوى!

وكانت الكارثة!

دفع الأستاذ « محمود محمد شاكر » الثمن! وكان سجناً طويلاً رهيباً وقاسياً! وأغلقت مجلة « الرسالة» مع مجلات أخريات. وشرد الكتّاب، وجند « لويس عوض » كل تلامذته وأنصاره فى دولته الثقافية الذاهبة ومن خلال منصبه فى أكبر جريدة تنطق بلسان الحاكم، لشن هجوم ضد كل ما هو عربى ومسلم وإنسانى! وكان ثمناً فادحاً دفعه الشرفاء المتسامحون!

ويبدو أن هذا الثمن لم يرض التلميذ المخلص غالى شكرى! فبدأ يجدد الدعوة الإرهابية ضد « محمود شاكر » وما يمثله « محمود شاكر » من مفاهيم وقيم ومثل. ومن هنا كان ذلك الاتهام الصفيق الذى يوجهه غالى شكرى « لمحمود شاكر » على صفحات « الوطن العربى » بالابتذال والتعصب الذميم!! وقبل ذلك السخرية من الرجل بلقب « الشيخ » رغم أنه لم يدرس بالأزهر أبداً!! وإن كان الأستاذ محمود شاكر يشرفه لقب « شيخ » فهو لقب له مدلول واعتبار عندنا.

ونود أن نقول للكاتب الماركسى، الذى يحب المارون ويبتهج بعرس الدم فى لبنان: إن « محمود محمد شاكر » وما يمثله من معتقدات وتصورات، لن ترهبه تحريضاتك الصبيانية، أو أفكار صبى المبشرين أو غيره من الحقدة والموتورين والذين يحاولون قطع اليد التى سقتهم أطيب ما فى هذا الوطن أغلاه.

ومنذ قرنين - يا غالى شكرى - كان لك جد، اسمه المعلم

يعقوب، باع نفسه للشيطان «وكرنك فى الرويعى» - حسب تعبير جدنا الجبرتى - وكون فيلقاً ليضرب ثورة القاهرة الثانية التى قامت ضد الفرنسيين من جنود نابليون بونابرت، ثم ذهب مع سفن الحملة المنهزمة، وكانت وصيته أن يوضع فى برميل من الخمر بعد الموت . . وجدك هذا كان مثالاً للخيانة القذرة . . ولعلك تتعظ بتاريخه، وتعلم أن الحرب التى تشنها من باريس مع رفاقك لن تكون نتيجتها أشرف من نتيجة حرب المعلم يعقوب!

واذكروا يا خلفاء المعلم يعقوب أن اليد الطيبة لن تقطع أبداً! . . واسلمى يا مصر . .

** ** **

تذييل

فى مصر المسلمة؛ تتحول قضية الانتقال من الواقع المتهرئ إلى واقع أفضل؛ قضية حياة أو موت .

ولقد أجريت على مصر المسلمة كافة التجارب المستوردة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً . . وباءت كلها بالفشل الذريع .

وبعد الانفتاح النسبى على عالم الحرية، فإن مصر المسلمة

تأخذ طريقها الطبيعي والتلقائى نحو العودة إلى أصولها العريقة وأمجادها الحقيقية، باستلهام الإسلام فكراً ومنهجاً وأسلوب حياة. .

ولكن كلمة « الإسلام» مازالت تؤرق البعض هنا، وتصيبهم بالتوتر، والتصرف اللامسئول. . بل إن البعض يذهب إلى أبعد من ذلك حين يمارس عملية ابتزاز رخيص. . تقف حائلاً دون أن يكون الإسلام سلوكاً رسمياً يتناغم مع الطموح الشعبى لدى المصريين.

ومهما يكن من شيء فإن مصر المسلمة لن ترضخ للابتزاز أو تقبل بالاستئذان من أحد، لتكون مسلمة قولاً وفعلاً.

وفى المقالات السابقة التى ضمها هذا الكتيب طرق خفيف على أبواب بعض المسائل الراهنة، التى تحتاج كل منها إلى وقفة طويلة وعميقة.

ولعلها تشفع لنا أن نهتف معاً: مسلمون . . ومن إسلامنا لا نخجل. .

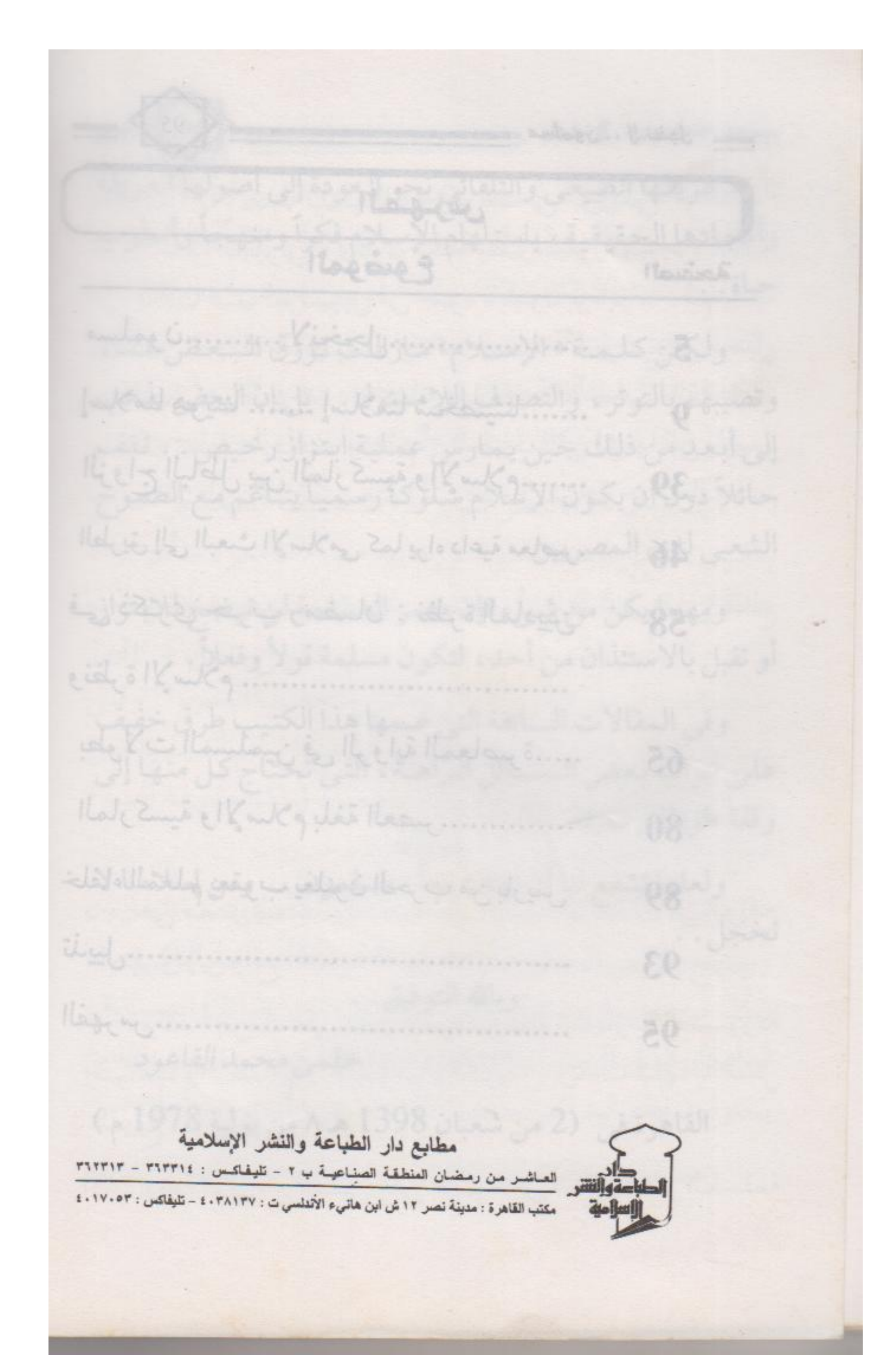
وبالله التوفيق. .

حلمى محمد القاعود

القاهرة فى (2 من شعبان 1398 هـ ٨ من يولية 1978 م)

الفهرس

الموضوع	الصفحة



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

دار الطباعة والنشر الإسلامية

هذا الكتاب

إن الشعوب الإسلامية تأخذ طريقها الطبيعى والتلقائى نحو العودة إلى أصولها العريقة وأمجادها الحقيقية ، باستلهام الإسلام فكراً ومنهجاً وأسلوب حياة .

ولكن كلمة (الإسلام) مازالت تؤرق البعض ، وتصيبهم بالتوتر ، والتصرف اللامسئول .. بل إن البعض يذهب إلى أبعد من ذلك حين يمارس عملية ابتزاز رخيص .. تقف حائلا دون أن يكون الإسلام سلوكاً رسمياً يتناغم مع الطموح الشعبى للمسلمين .

وفى **هذا الكتاب** طرق خفيف على أبواب بعض المسائل الراهنة ، التى تحتاج كل منها إلى وقفة طويلة وعميقة ولعلها تشفع لنا أن نهتف معاً : مسلمون .. ومن إسلامنا لا نخجل .

والله من وراء القصد

الناشر ،



دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا أمام كلية التربية النوعية

تليفاكس :308909 - 302404 ☎ / 228277 _ 210907